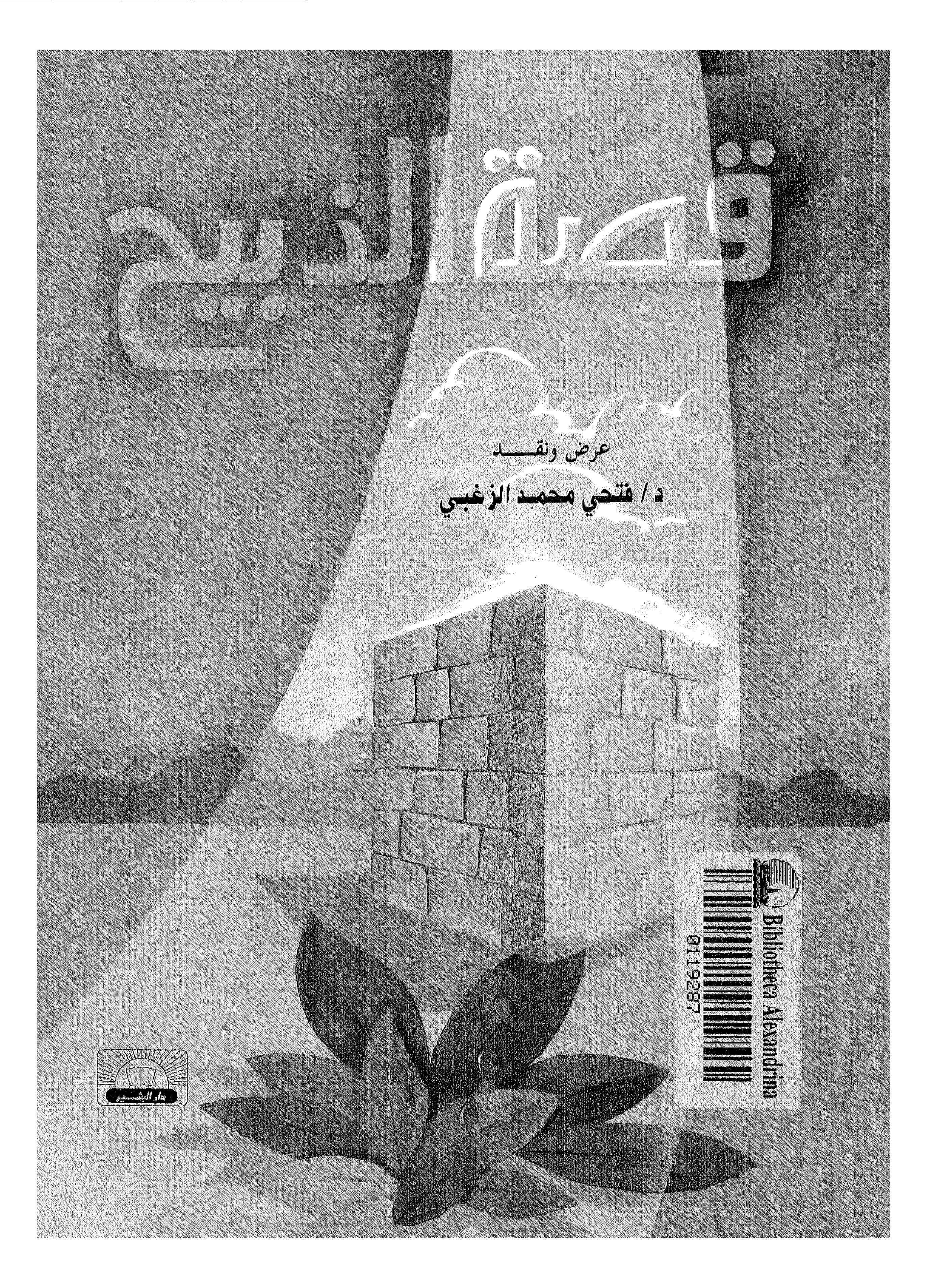

قصة الذبيح
عرض ونقـــد
د / فتحي محمد الزغبي
دار البشير
Bibliotheca Alexandrina
0119287



قصـــة الذبيـــح

عند اهل الكتاب والمسلمين

- الكتـــاب : قصة الذبيح
- الكـــاتب : د . فتحي محمد الزغبي
- الطبعـــة : الأولى
- الناشـــر : دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا ـ مصر
- التـــوزيع : دار البشير ـ طنطا ـ أمام كلية التربية النوعية ☎ 322404
- التجهيز الفني : شركة الندى للتجهيزات الفنيه ـ المحلة الكبرى ـ ص . ب : 265
- الإيداع القانوني : 1994 - 11568
- الترقيم الدولي : I . S . B . N - 977 - 5065 - 99 - 2

قصـــة الذبيـــح

عند أهل الكتاب والمسلمين

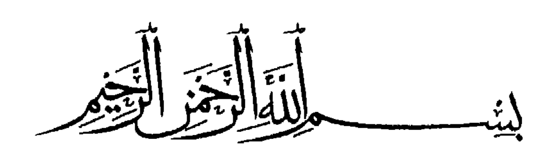
عرض ونقـــد

د / فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر بطنطا

وأستاذ الثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الإمام بالرياض




بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد

فإن هذا الكتاب يبحث في قصة الذبيح (أى المأمور بذبحه من الله سبحانه لخليله أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام) : عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمسلمين : عرضاً ونقداً .

ولذلك فإن الدراسة لهذا الموضوع تأتى فى فصلين :

فى الفصل الأول : وفى مبحثه الأول أيضا عرض لقصة الذبيح عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وذلك من خلال الرجوع إلى أسفارهم (المقدسة) والاطلاع على النصوص التى وردت بها فى شأن هذه القصة ، مع الاستعانة بشروح مفسريهم ، وأقوال علمائهم .

ويعقب ذلك ــ أى فى المبحث الثانى من نفس الفصل ــ نقد لما ورد فى هذه الأسفار من نصوص تتعلق بقصة الذبيح نقداً عمليا وموضوعياً ، حيث يتم الرجوع إلى نصوص أخرى من أسفارهم ، تبرز مدى تضاربهم ، وتناقضهم ، واضطرابهم ، فى قولهم : إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام ، وتثبت بيقين لامجال للشك فيه ، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وتفضح بجلاء محاولات اليهود التى باءت بالفشل ، وانتهت بالإخفاق للنيل من إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام ، وتكشف عن نوايا اليهود الخبيثة ، تجاه العرب والمسلمين من ذرية إسماعيل ، وأساليبهم الدنيئة فى الحط من قدرهم ، وسلب كل فضيلة عنهم .

وفى الفصل الثانى عرض لقصة الذبيح عند المسلمين .

واشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث :

فى المبحث الأول : بيان لاختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح وأسباب هذا الاختلاف الذى جعلهم ينقسمون إلى فرقاء :

فريق يرى أصحابه أن الذبيح إسحاق عليه السلام .

وفريق ثان يرى أصحابه أن الذبيح إسماعيل عليه السلام .

وفريق ثالث : توقف أصحابه ولم يجزموا بشىء .

وفى المبحث الثانى عرض لقصة الذبيح نقية صافية كما وردت فى القرآن الكريم ، بعيداً عن شطحات المفسرين ، وخرافات الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب .

وفى المبحثين الثالث والرابع عرض ونقد لحجج وأدلة الفريقين :

الفريق الأول القائلين بأن الذبيح إسحاق .

والفريق الثانى القائلين بأن الذبيح إسماعيل .

ثم يأتى بعد ذلك تعقيب من الباحث يتم فيه التعليق على أدلة الفريقين والموازنة بينها ثم يكون الترجيح والاختيار .

وترجع أهمية البحث فى هذا الموضوع إلى عدة أسباب منها :

أولاً : أن اليهود يتعالون على غيرهم ـ متكبرين ومتفاخرين ـ ويتباهون ـ تيها وغروراً ـ معلنين أنهم شعب الله المختار ، اعتقاداً منهم أنهم قد تميزوا دون غيرهم واختصوا وحدهم بميراث الخليل إبراهيم عليه السلام ، زاعمين أنهم ينتسبون إليه ، ويرجعون إلى دينه فى كل أمورهم .

وقد بين القرآن الكريم بطلان ذلك وأعلن عدم استحقاقهم شرف الانتماء

إليه هم ومن زعم زعمهم من النصارى والمشركين فقال تعالى ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** ﴾ (١) .

وبين سبحانه أن أولى الناس به هم المسلمون ونبيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ﴾ (٢) .

ومن باب تعلق اليهود بالخليل عليه السلام ، وزعمهم الاستئثار بميراثه الروحى دون غيرهم من ذريته ، أنهم اعتقدوا أن إسحاق عليه السلام هو الوريث الوحيد الذى لاينازع ولايشاركه أحد فى ميراث أبيه الدينى ، فأسقطوا عن إسماعيل عليه السلام البكورية ـ التى لم يستطيعوا إنكارها ـ بحجة أن أمه هاجر عليها السلام كانت جارية وغير ذلك من ألوان الطعن ومظاهر النيل من إسماعيل وأمه الطاهرة ، فزعموا فيهما كثيراً من المزاعم ، ورموهما بكثير من المطاعن ، وطعنوا فى أحقيتهما فى الانتساب إلى الخليل عليه السلام ، وقد بينت بطلان كل هذا بالرجوع إلى نصوص أسفارهم المقدسة نفسها .

وانطلاقا من هذا المبدأ زعموا أن إسحاق عليه السلام هو المأمور بذبحه من الله سبحانه فاستحق الشرف ونال الفضل هو وذريته من بنى إسرائيل ، ونزعوا هذا الفضل وذلك الشرف من إسماعيل عليه السلام وذريته من العرب والمسلمين الذين هم أولى الناس بها .

فإذا ما تم إبراز هذا كله ومعالجته من خلال بحث علمى أكون قد ساهمت فى الكشف عن نواياهم الخبيثة ، ووسائلهم الدنيئة فى النيل من إسماعيل عليه السلام وأمه السيدة هاجر المصرية زوجة الخليل عليه السلام وأم ولده البكر والتى أكرمها الله سبحانه فجعل آثارهما وموطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم الدين .

---

(١) آل عمران : ٦٧ .   (٢) آل عمران : ٦٨ .

ثانيا : كذلك فإنه قد درج الكثيرون من الباحثين على أن يشيروا إلى أن الخلاف فى قصة الذبيح بين اليهود والمسلمين ، فقط ، متغافلين عن موقف النصارى من هذه القضية .

بل إن هناك من يذكر أن النصارى لايبحثون فى هذا الموضوع مطلقا ، ولايعيرونه أدنى اهتمام .

وهذا خطأ واضح ، وغلط فاضح .

فالنصارى ــ كما سيتبين لنا من خلال البحث ــ قد تابعوا اليهود وجاروهم فى اعتقادهم أن الذبيح إسحاق ــ باعتبار أن سفر التكوين ــ الذى اعتمد عليه اليهود فى هذا الاعتقاد مقدس أيضا عند النصارى ، فهو أحد وأول الأسفار الخمسة التى تشكل القسم الأول من أقسام العهد القديم الذى يؤمن به النصارى باعتباره يمثل الجزء الأول من جزئى الكتاب المقدس عندهم بعهديه : العهد القديم والعهد الجديد .

بالإضافة إلى ما ورد عندهم بخاصة فى بعض رسائل العهد الجديد مما جعلهم يجزمون أيضا بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام .

بل إن النصارى قد ربطوا بين الأمر بذبح إسحاق ـــ فى زعمهم ــ وبين مازعموه فى صلب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حيث اعتبروا ذلك فرصة سانحة لهم تصيدوها للربط بين الحادثين لتدعيم هذه العقيدة التى أبطلها الإسلام ونفاها القرآن الكريم نفيا قاطعا وحاسماً .

فقال تعالى : ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** .... وما قتلوه يقينا ﴾ [1] .

فلو كان الذبيح إسماعيل عليه السلام لما استطاعوا أن يربطوا بين الحادثين

---

(١) النساء : ١٥٧ .

ولما تمكن بولس اليهودى ذو الثقافات الوثنية تدعيم عقيدة الصلب والفداء التى استقاها من الديانات الوثنية ، فليس هناك اتصال بين إسماعيل وبين المسيح من جهة النسب .

من أجل كل ذلك تمسك النصارى بما نادى به اليهود وتابعوهم فى ادعائهم بأن الذبيح إسحاق عليه السلام .

كذلك فإن النصارى يشاركون اليهود فى كراهيتهم لإسماعيل عليه السلام ولم يتورعوا عن الجهر بالإساءة إليه والتصريح بالنيل منه ، والطعن فيه والاستهزاء به هو وأمه هاجر عليها السلام .

ويتبين لنا هذا حينما أعرض فى ثنايا البحث لنموذج واحد من نماذج الشتائم والسباب الموجهة له من بعض علماء النصارى وقسيسيهم حتى يتبين لنا مدى متابعة النصارى لليهود ومساندتهم فى كراهية إسماعيل وأمه هاجر حسداً من عند أنفسهم للعرب والمسلمين الممثلين لذرية إسماعيل وأبرزهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

ثالثاً : إن عامة المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها يذكرون فى موسم الحج ويتذاكرون فى عيد الأضحى ماجرى لإسماعيل وما وقع منه عليه السلام ، ولايخطر ببال أحد منهم أبداً ولايدور بخلده مطلقا أن يكون الذبيح إسحاق .

بل إننى حتى الآن ما وجدت أحداً قد تجرأ على التصريح بذلك أمام جماهير الناس .

بل إن خطبة عيد الأضحى فى الغالب لاتخلو من ذكر إسماعيل وقصته .

ومعنى ذلك أن القائلين بأن الذبيح إسحاق من المسلمين لم يتعد قولهم هذا ماكتبوه ولم يخرج من بطون مؤلفاتهم .

بل إن الكثيرين من الناس لايصدقون مطلقا أن الإمامين الجليلين ـ الطبرى والقرطبى ـ مثلا ـ وهما من هما فى العلم والتاريخ والمعرفة ، يرجحان كون الذبيح إسحاق ، ويعتقدان فى ذلك تمام الاعتقاد .

فالكل يعتقدون أن القول بكون الذبيح إسحاق ينفرد به اليهود فقط دون سواهم .

ولم يقتصر الأمر فى ذلك على العوام .

بل إن كثيرين من الباحثين والمثقفين بوجه عام لايدركون كون هذه المسألة خلافية بين المسلمين معتقدين أن هناك إجماعاً بين المسلمين على أن الذبيح إسماعيل .

بل إن هناك أحد الباحثين قد اطلعت على رسالة له سماها « القول الصحيح فى تعيين الذبيح » [١] نقل فيها ما ورد فى التفاسير ـ تفسيراً بعد تفسير ـ فى تعيين اسم الذبيح وأخذ يعلق بعض التعليقات عقب كل تفسير .

وبغض النظر عن مجانبة هذه الطريقة للمنهج العلمى ، فإننى فوجئت به يقرر أن الطبرى قد عرض لأقوال الفريقين ولم يجزم بشىء ! ! وأن القرطبى مثله لم يقطع برأى .

فحينما تحدث عن الطبرى يقول عنه « إنه يذكر أقوال الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق .. ثم يأتى بعدها بأقوال الذين يقولون بأن الذبيح إسماعيل .. ولم يجزم بشىء ؟ ! .. أهـ ولاتعقيب ؟ ! ! [٢] .

وحينما تحدث عن القرطبى يقول أيضا :

« لم يقطع المفسر برأى ، بل إنه أتى بأقوال الطرفين الذين أحدهما يقول بأن

(١) تأليف محمد سعيد العاني مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولي ١٩٨٥ م .
(٢) صـ ٧١ .

الذبيح إسحاق ، وثانيهما بأنه إسماعيل .. ثم يختم بيانه بقول الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح » ؟ ! ! ! ولاتعقيب ؟ ! [١] .

وهذا أمر عجيب لأن كلا من الطبرى والقرطبى قد تحمس جداً للقول بأن الذبيح إسحاق ودافع عنه ، وأتى بحجج وبراهين ، وردّ على القائلين بأن الذبيح إسماعيل وسوف يتبين لنا ذلك بالتفصيل فى ثنايا البحث .

وإذا كان هذا هو حال من زعم فى مقدمة رسالته هذه أنه قام بالاستقراء الدقيق والتتبع الصحيح لما كتب فى التفاسير حول هذا الموضوع فما بالنا بغيره ؟ ! ! .

رابعاً : أنه قد اعترى قصة الذبيح من الروايات المنكرة والأحاديث العجيبة والحكايات الغريبة ما امتلأت به الكتب وما ردده بعض الخطباء أو كثير منهم فى خطبة عيد الأضحى المبارك .

وشاعت هذه الحكايات وتلك الروايات بين العوام وصاروا يتناقلونها على أنها صحيحة .

يذكر الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره « محاسن التأويل » أن الخطباء قد ولعوا فى دواوينهم برواية قصة الذبيح فى خطبة الأضحى من طرقها الواهية عند المحدثين ، ويرونها ضربة لازب على ضعف سندها ، وكون متنها منكراً أيضا أو موضوعاً ويرى أنه لاينبغى التزيد على أصل ما قص فى التنزيل من الضرورى له ، إلا إذا صحّ سنده ، أو اطمأن القلب به [٢] .

(١) صـ ٦٩ .

(٢) راجع تفسير القاسمى صـ ١٢٠ ــ ١٢١ جـ ١٤ دار الفكر بيروت .
وفى قريتنا كان الخطيب يأتى يوم عيد الأضحى وسط فرحة المصلين وابتهاجهم وبعد أن ينتهوا من تكبيرهم وتهليلهم ويفرغوا من صلاة العيد يصعد رحمه الله المنبر ثم يلقى بخطبة الذبيح من ديوان أصفر ، ويسعد الناس بالاستماع له ويستمتعون بما يقول كأنه يلقيها على مسامعهم لأول مرة رغم أنه يكررها كل عام على مدار سنوات طويلة ولكن الناس فى كل عام يتهيأون له ويستعدون ، =

ومن هنا لزم التنبيه على ما اعترى هذه القصة من الإسرائيليات والتحذير من مخاطرها على العقيدة الإسلامية من حيث ارتباطها بالخرافات والأعاجيب مما يشوه صورة الإسلام الحقيقية وينال من مكانته بين الناس .

كما أن البحث فى هذا الموضوع ضرورى للإشارة إلى متابعة بعض علماء المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والتساهل فى النقل عنهم والاستفادة من كتبهم رغم ما تحتوى عليه من إسرائيليات منكرة مخالفة لما جاء به القرآن الكريم ، ومنافية لما ورد فى السنة الصحيحة المعتمدة .

وبذلك يتم تسليط الضوء على الذين قلدوا اليهود والنصارى عند إيرادهم لقصة الذبيح واغترارهم بما رواه كعب الأحبار وغيره من الإسرائيليات .

بل إننا سنرى مبالغة بعض المسلمين فى التحمس لاعتقادهم أن إسحاق هو الذبيح حتى فاقوا فى ذلك اليهود والنصارى أنفسهم حيث سيتبين لنا مثلاً أن القرطبى يزعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل ، وهو الأمر الذى لم يجرؤ اليهود أنفسهم أن ينطقوا به ، حيث إنهم لم يتمكنوا من إنكار بكورية إسماعيل ، ولو فعلوا ذلك ولم يقروا بها لما اضطروا إلى بذل المحاولات الفاشلة ، ووفروا على أنفسهم مبررات إسقاط البكورية عن إسماعيل ونزعها منه وتسليمها إلى إسحاق .

وأخيراً فإننا كمسلمين نؤمن بنبوة كل من سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق عليهما السلام ونوقن بأنهما نبيان من كرام الأنبياء ورسولان من خيار الرسل الذين اصطفاهم الله سبحانه من خلقه وفضلهم على كثير من عباده ، وهما ابنان

= ويستقبلون كلامه بما استقبلوه به من بكاء ونحيب وآهات وتضرعات وهو يبادلهم ذلك بكاء ببكاء ونحيباً بنحيب مع حشرجة في الصوت واضطراب في الكلام .

وتزداد نبرة الآهات من الصدور وتنهمر الدموع غزيرة من العيون خاصة حينما يتحدث عن قميص إسماعيل الذي يرجو أباه الخليل عليهما السلام أن يخلعه عنه حتي لاينتضح عليه شيء من دمه فتراه هاجر عليهما السلام فيشتد حزنها إلخ ....

باران ، وولدان عزيزان على أبيهما وأبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليهم جميعا وعلى نبينا وحبيبنا سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ﴿ **لانفرق بين أحد من رسله** ﴾ .

وأسأل الله سبحانه أن أكون قد وفقت فى بحث هذا الموضوع راجياً منه تعالى أن يتقبله منى خالصاً لوجهه الكريم .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

طنطا فى : ربيع الأول ١٤١٥ هـ

أغسطس ١٩٩٤ م

فتحى محمد الزغبى



الفصل الأول

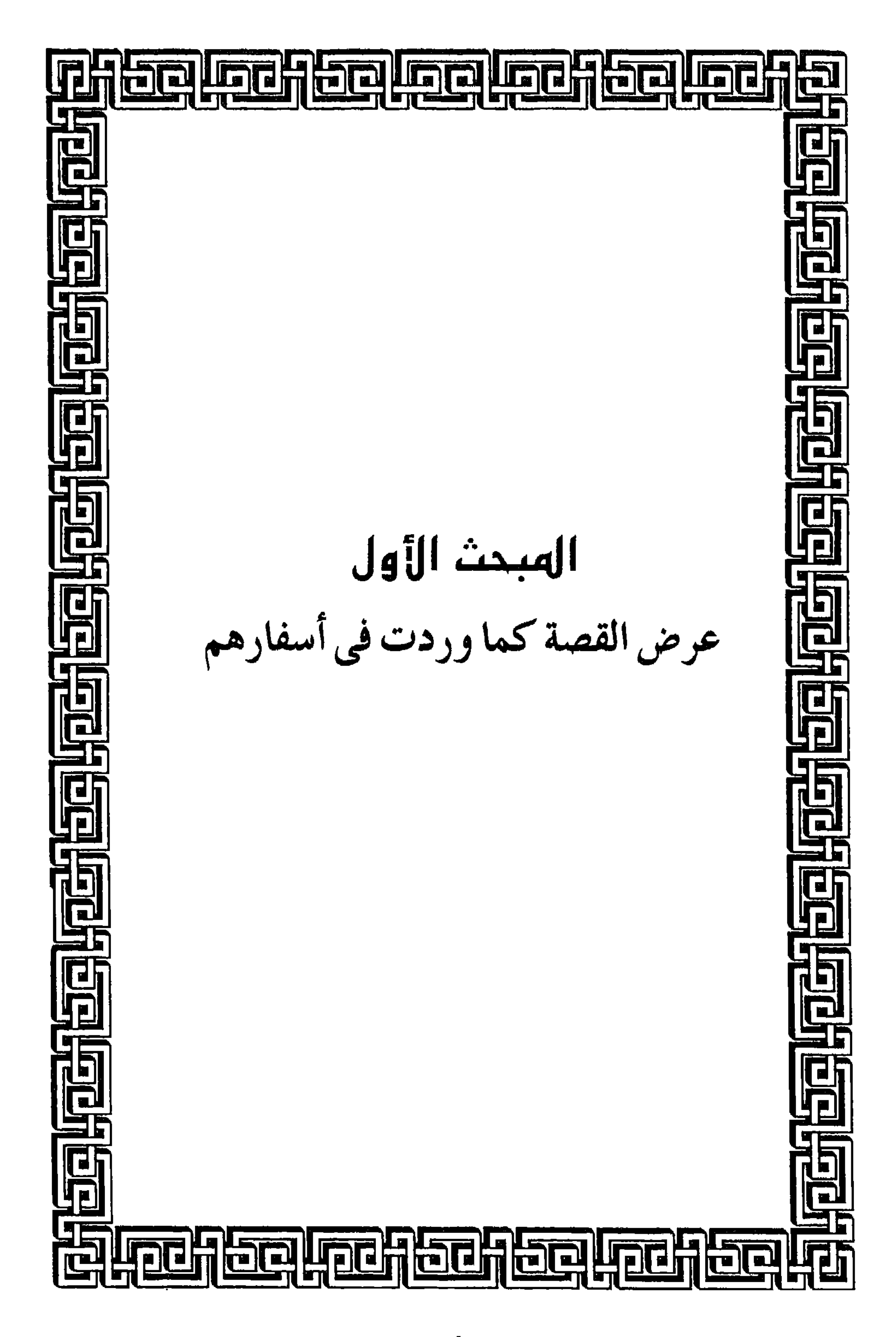
قصة الذبيح عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : عرض القصة كما وردت فى أسفارهم .

المبحث الثانى : نقد ماورد فى قصة الذبيح عند أهل الكتاب .





المبحث الأول

عرض القصة كما وردت فى أسفارهم



المبحث الأول : عرض القصة كما وردت فى أسفارهم :

يذهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى أن الذبيح من ولدى الخليل إبراهيم هو إسحاق عليهما السلام .

ويعتمدون فى ذلك على ماورد فى سفر التكوين .

وسفر التكوين هو أول الأسفار الخمسة التى هى القسم الأول من أقسام العهد القديم (١) ، الذى يؤمن به النصارى مع اليهود ثم أضاف النصارى إلى هذا المصدر المشترك بعض النصوص التى أوردوها فى رسالتين من رسائل العهد الجديد (٢) .

واعتبرت هذه النصوص عندهم تدعيما لما ورد فى سفر التكوين ، وامتداداً له .

---

(١) أطلق اسم « العهد القديم » فى العصور المسيحية على أسفار اليهود للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » ويراد بكلمة « العهد » فى هاتين التسميتين مايرادف معنى الميثاق ، وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسية الأول : التوراة « الأسفار الخمسة » الثانى : الأنبياء ، الثالث : الكتابات ، وهذا التقسيم هو السائد عند أغلب اليهود وهناك منهم من يقسمه إلى أربعة أقسام : (الأسفار الخمسة) و (الأسفار التاريخية) ، و (أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية) ، و (أسفار الأنبياء) راجع تفصيل ذلك فى كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية صـ ٤٧ ـ ٦٤ وقد بينت فيه أيضا بطلان نسبة التوراة اليهودية (الأسفار الخمسة) إلى سيدنا موسى عليه السلام وأنها غير التوراة المنزلة عليه من الله سبحانه ، وكذلك بينت انتفاء قدسية أسفار العهد القديم » راجع تفصيل ذلك من صـ ٣١٢ ـ ٣٧٨ نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤م .

(٢) يتألف العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً وهى عبارة عن أربعة أناجيل وإحدى وعشرين رسالة بالإضافة إلى أعمال الرسل ورؤيا يوحنا (راجع تفصيل ذلك فى قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤٤ ، ٧٦٤ والأسفار المقدسة للدكتور على وافى صـ ٨٥ ـ ٨٩ والمدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٢٠٧ وما بعدها .

فلننظر أولاً فى هذه النصوص التى وردت حول قصة الذبيح فى هذه الأسفار ، ونطلع على بعض شروحها حتى يتسنى لنا التعليق على ما تحتوى عليه:

نصوص سفر التكوين :

جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين ما نصه :

« وحدث بعد هذه الأمور [1] أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له : ياإبراهيم ، فقال : ها أنذا .

فقال : خذ ابنك **وحيدك الذى تحبه إسحاق** [2] .

واذهب إلى **أرض المريا** ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » .

فبكّر إبراهيم صباحاً وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه وشقق حطبا للمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله .

وفى اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد ، فقال إبراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما .

فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين ، فذهبا كلاهما معا ،

وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال : يا أبى ، فقال : هأنذا يا ابنى .

---

(١) يقصد ما حدث فى الإصحاح السابق (الحادى والعشرين) من أمور تتعلق بحياة إبراهيم عليه السلام لامجال الآن لذكرها .

(٢) جاء فى قاموس الكتاب المقدس أن إسحاق معناه بالعبرية « يضحك » لأنه كما ورد فى سفر التكوين حينما ولد قالت أمه سارة : إن الرب صنع إلى ضحكا وإن جيرانها سيضحكون معها راجع صـ ٦٦ وسفر التكوين ٢١ : ٦ .

فقال : هوذا النار والحطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة .

فقال إبراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى ، فذهبا كلاهما معاً فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم للمذبح ورتب الحطب ، وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه .

فناداه ملاك الرب من السماء وقال : إبراهيم إبراهيم ، فقال : هأنذا .

فقال : لاتمد يدك إلى الغلام ولاتفعل به شيئا ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى .

فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه ، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه .

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع « يهوه يرأه ، حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى » .

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، وقال بذاتى أقسمت .

يقول الرب : إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض ، من أجل أنك سمعت لقولى ، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه ، فقاموا وذهبوا معاً إلى بئر سبع ، وسكن إبراهيم فى بئر سبع (١) .

ومن قراءة هذا النص الذى ورد فى سفر التكوين يتبين أن اليهود يرون أن الذى أقدم إبراهيم على ذبحه وتقديمه كمحرقة هو ابنه إسحاق ابنه الذى بشر به وهو فى التاسعة والتسعين من عمره ، ولما ولد كان قد بلغ المائة من عمره .

---
(١) تكوين ٢٢ : ١٥ ــ ٢٢ .

جاء فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين : أنه لما كان إبرام ابن تسع وسعين سنة ظهر الرب له وقال له .... بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدى معه عهداً أبديا لنسله من بعده » (١) .

وجاء فى الإصحاح الثامن عشر أن الرب (٢) وملكين معه قالوا له :أين سارة امرأتك ، فقال ها هى فى الخيمة ، فقال إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن ، وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه ، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ .

فقال الرب لإبراهيم:لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت .

هل يستحيل على الرب شىء ! فى الميعاد أرجع إلى نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن .

فأنكرت سارة قائلة لم أضحك ، لأنها خافت ، فقال : لا بل ضحكت (٣) .

وفى الإصحاح الحادى والعشرين :

« وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً فى شيخوخته ، فى الوقت الذى تكلم الله عنه ، ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته له سارة إسحاق .... وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه » (٤) .

---

(١) تكوين ١٧ : ١ ، ١٩ .

(٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فالقرآن الكريم قد بين أن الذين بشروا إبراهيم وزوجه سارة بابنها إسحاق عليهم جميعاً السلام هم الملائكة وقد بحثت هذه النقطة فى كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » حيث بينت أن زعمهم تجلى الرب سبحانه لإبراهيم فى صورة رجل نابع من تأثرهم بالتصورات الوثنية راجع صـ ٦٤٢ ـ ٦٥١ نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤ م .

(٣) تكوين ١٨ : ١ ـ ١٥ .

(٤) تكوين ٢١ : ١ ـ ٥ .

وقد عرض النص قصة الذبيح في التصور اليهودى بدءاً من صدور الأمر من الله سبحانه إلى الخليل إبرهيم لكي يذبح ابنه ، وقيام الخليل بتنفيذ ما أمر به وانتهاء بتقديم كبش إلى المحرقة فداءً عن إسحاق .

وقام شراح العهد القديم ومفسروه بعرض قصة الذبيح كما وردت فى سفر التكوين أقتطف من كلام بعضهم ما يلى :

جاء فى كتاب الآباء والأنبياء أن أمر الله - سبحانه - قد صدر لإبراهيم فى كلمات عصرت قلب ذلك الأب عصراً قاسياً بالحزن والألم إذ قال له : : « خذ ابنك وحيك الذى تحبه إسحاق وأصعده محرقة » .

لقد كان إسحاق هو وارث البركة الموعود بها ، ولو مات مثل هذا الابن فى حادثة أو بمرض لتمزق قلب أبيه المحب ، وكان رأسه الأشيب ينحنى تحت ثقل الأحزان ، ولكن الله يأمره بأن يسفك دم ذلك الابن بيده (١) .

وجاء فى السنن القويم فى تفسير العهد القديم مبينا معنى قوله فى سفر التكوين « الله امتحن إبراهيم » أى امتحن إيمانه وطاعته لأن هذا الأب تقضى عليه فى أرض الغربة الفلسطينية خمس وعشرون سنة كان يرى فيها تأخر إتمام الوعد على توالى الأيام ومع ذلك لم يتزعزع إيمانه ، ثم ولد ابنه ووريثه وحمل حزنا وألماً شديداً على فراق إسماعيل ثم نسى ألم فراقه بإسحاق ، وشعر أنه حصل على السعادة فى شيخوخته ، وكان فى سلام مع جيرانه ، وكانت مواشيه كثيرة ، ومراعيه واسعة وعرف أن إسماعيل قوى ونجح ، ورأى إسحاق ينمو سريعاً ويتقدم إلى الرجولية .

ففى أثناء هذه الراحة والاطمئنان أتته التجربة الشديدة فى إحدى الليالى وهى أمر الله إياه أن يذبح ابنه إسحاق .

(١) ألن هوايت : الصراع العظيم فى سيرة الآباء والأنبياء صـ ١٢٥ ترجمة فرج الله إسحاق نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر بيروت ١٩٨١ م .

وكانت هذه التجربة مضاعفة لأن طبيعة الله كانت تكره الذبائح البشرية (١) وكان على إبراهيم أن يطيع الأمر ، فكيف يصدق أن الرب « يهوه » إله العهد الصادق يأمره بذلك (٢) .

ويذكر الدكتور ف . ب ماير فى كتابه « حياة إبراهيم » أن كلمة الرب قد أتت إبراهيم فى رؤى الليل ، وفى الصباح التالي باكراً جداً قام على الفور منفذاً الأمر الذى صدر إليه .

« فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره ... » .

فلم يسمح لأى شخص آخر بأن يفك الحمار أو يجمع الحطب أو يتدخل فى سرعة إتمام الأمر ولكنه شد على حماره وشقق حطبا للمحرقة وذهب إلى الموضع الذى قال له الله (٣) .

ونعود إلى كتاب « الآباء والأنبياء » ليستأنف ما قصه علينا متأثراً بما ورد فى العهد القديم ومصوراً ما جاء فى سفر التكوين :

تذكر صاحبة الكتاب أن إبراهيم عاد إلى الخيمة حيث كان إسحاق مضطجعا ونائما نومة الشباب البرئ الذى لايزعجه شيء ولمدة لحظة تطلع الأب فى وجه ابنه الحبيب ثم تحول عنه مرتعباً ... ثم تذكر أن إبراهيم استدعى أخيراً ابنه وأخبره بأمر الرب له بالذهاب إلى جبل بعيد لتقديمه ذبيحة ، وكان إسحاق قد ذهب مع أبيه مراراً ليعبد الله عند بعض المذابح المختلفة التى كان يقيمها فى أثناء رحلاته من مكان إلى آخر (٤) .

ولذلك فلم يكن هذا الأمر الإلهى مثيراً لدهشته ، وبسرعة تمت كل

(١) راجع كتابى « القرابين البشرية والذبائح التلمودية » الطباعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م مطابع غباشى بطنطا .

(٢) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم جـ١ صـ ١٥٦ ـ ١٥٧ مبنى على آراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م .

(٣) حياة إبراهيم صـ ١٥١ .

(٤) الآباء والأنبياء صـ ١٢٦ .

الاستعدادات لتلك الرحلة ، وأعد الحطب ، ووضعه على الحمار وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه وذهبوا ....

وكان إبراهيم يرغب فى أن لايشاهد أحد منظر الوداع بينه وبين ابنه غير الله وحده ، ولذلك أمر غلاميه بالتخلف قائلاً لهما : « أما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما » فوضع الحطب على إسحاق الذى سيقدم ذبيحة وأخذ هو بيده النار والسكين ثم أخذا فى الصعود إلى قمة الجبل ، وكان ذلك الشاب مندهشا يسائل نفسه قائلا من أين لنا المحرقة ونحن بعيدان جداً عن الحظائر والقطعان ؟ .

وأخيراً قال لأبيه «يا أبى هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟» ولكن إبراهيم لم يقدر أن يخبره الآن فقال له : « الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى » (١) .

وفى المكان المعين بنيا المذبح ووضعا عليه الحطب ، وحينئذ وبصوت مرتجف ، أخبر إبراهيم ابنه برسالة الله ، ولما علم إسحاق بمصيره ملكه الرعب والذهول ، ولكن لم تبد منه أية مقاومة ، وكان يمكنه أن ينجو من ذلك المصير لو أراد .

ولكن إسحاق قد تربى منذ طفولته على الطاعة التامة الواثقة فلما كشف له قصد الله أطاع وسلم من تلقاء نفسه .

لقد كان شريكا لإبراهيم فى إيمانه ، وكان يحس أنه شرف عظيم له أن يبذل حياته ذبيحة لله ، فأخذ بكل رقة يحاول التخفيف من أحزان أبيه ويشجع يديه الضعيفتين على ربطه بالحبال ليوضع على المذبح (٢) .

وأخيراً بعد ما قيلت آخر كلمات المحبة ، وسكبت آخر دمعة ، وبعد الانتهاء من المعانقة ، يرفع الأب السكين ليذبح ابنه ، ولكن فجأة توقفت يده ، ذلك أن

(١) المصدر السابق صـ ١٢٦ ــ ١٢٧ .

(٢) الآباء والأنبياء صـ ١٢٧ .

ملاك الرب نادى ذلك الشيخ قائلا : « إبراهيم إبراهيم » فجاء الرد سريعاً يقول : « هأنذا » فعاد الصوت يقول له : « لاتمد يدك إلى الغلام ولاتفعل به شيئا ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » .

حينئذ نظر إبراهيم « وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه » .

وإذ أحضر تلك الذبيحة الجديدة بسرعة أصعدها عوضاً عن ابنه (١) .

وإذا كان كاتب سفر التكوين قد ذكر أن الجبل الذى أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه فوقه هو « جبل المريا » أو « أرض المريا » فإن مفسرى العهد القديم وشراحه قد اختلفوا فى تعيين هذا الجبل ، ومعرفته على سبيل التحديد .

جاء فى كتاب « السنن القويم » (٢) أن معنى « المُريَّا » إما « الرب علم » وإما « الرب معد أوراء » .

فإن كان المعنى الثانى هو المقصود هنا فيكون المكان سمى بالمريا من الحادثة ويكون المعنى : المكان الذى فيه « الرب يعد أو يرى خروف المحرقة » .

ورأى كثيرون من أكابر المفسرين أن ذاك المكان هو « مورة » فى شكيم « نابلس » وأن الذبيحة قدمت فى السامرة ، وكان المذبح طبيعياً وهو قنة جبل جرزيم .

لكن إبراهيم وإسحاق ـ فيما يقول صاحب كتاب السنن ـ وصلا المكان فى اليوم الثالث ، ولكن كون جبل جرزيم بعيداً جداً عن بئر سبع يمنع من هذا القول .

وعلى هذا فيرجح أنه قرب أورشليم لأنها تبعد نحو ثلاث مراحل أى سير نحو إحدى وعشرين ساعة .

ثم إن الموضع الذى ذهب إليه إبراهيم أرض لم يكن يعهدها إذ لم يسم الله له الجبل بل قال له الجبل الذى أقول لك .

(١) المصدر السابق صـ ١٢٨ . (٢) راجع الجزء الأول تفسير سفر التكوين صـ ١٥٧ ـ ١٥٨ .

وأما شكيم فكان يعرفها ويعرف أسماء جبالها لأنه سكنها واستدل أيضا على ماذهب إليه من قول كاتب السفر « وفى اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد » .

فقال : قنة الجبل المدعو بجبل المبيت وجبل الموريا ما كانت ترى للمسافر من بئر سبع إلا على أمد نحو ثلاثة أميال ، فإذاً كان دونه كثير من التلال الحاجزة .

ولعل هذا هو البعد المقصود هنا لا أكثر منه ، فإن إبراهيم ـ كما ورد فى السفر ـ ترك الغلامين هنالك ووضع الحطب على إسحاق وذهبا إلى هنالك راجلين أى ماشيين على الأرجل ، ولو كان جبل جرزيم ما استطاع إسحاق أن يحمل الحطب من حيث يبدو للنظر .

وأورد صاحب القاموس أن « مريا » اسم سامى ربما كان معناه « رؤيا » ويطلق على : (١) أرض أوصى الرب إبراهيم أن يصعد إليها ويقدم ابنه على أكمة منها وهى منطقة فى أورشليم .

(٢) الجبل الذى بنى سليمان عليه الهيكل فى أورشليم وكان فى القسم الشرقى من المدينة الحاضرة يشرف على وادى قدرون ، وكان إلى الشمال من صهيون ، ولما بنى الهيكل على قمة هذه الأكمة بنيت أسوار من جوانب الأودية إلى الجهات الأربع حوله ...

ثم يذكر صاحب القاموس أن الأكثرين يظنون أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذى فيه أمر الله إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحاق ذبيحة غير أن التقليد السامرى يقول إن موضع مذبح إبراهيم كان على جبل جرزيم .

وجبل جرزيم هو جبل صخرى منحدر يكون الحد الجنوبى للوادى الذى تقع فيه شكيم « نابلس الآن » (١) .

(١)راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٨٥٩ ، صـ٢٥٨ والتقليد السامرى هو ما عليه السامريون وهم إحدى فرق اليهود ولهم توراة تسمى « التوراة السامرية » وتختلف عن التوراة العبرانية ويوجد بينهما فروق كثيرة وهم يقدسون الأسفار الخمسة ومعها سفر يوشع بن نون وبذلك يتألف كتابهم من ستة أسفار فقط (راجع تفصيل الحديث عنهم د / حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى صـ ٢٠٥ ـ ٢٠٩ قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٤٩ ـ ٤٥٢ .

وهكذا فإن اليهود فيما بينهم قد اختلفوا فى الموضع الذى يذكرون أن إسحاق قد هيىء للذبح فيه ، مما يعنى أن المسألة غير مؤكدة لديهم .

نصوص العهد الجديد :

وإذا كان اليهود قد أجمعوا على أن الذبيح من ولدى الخليل هو إسحاق عليهم السلام رغم اختلافهم فى موضع الذبح حيث يرى العبرانيون منهم أن جبل « المريا » هذا فى أورشليم ويرجحون أنه موضع هيكل سليمان عليه السلام ، بينما يرى السامريون منهم أنه جبل « جرزيم » فى شكيم « نابلس » .

إذا كان الأمر كذلك فإن النصارى قد تابعوا اليهود فى قولهم إن الذبيح إسحاق ، ويرجحون أن موضع الذبح كان بأورشليم ، بناءً على أن ماورد فى سفر التكوين يعد مصدراً أساسياً لهم حيث إن سفر التكوين يعد أول الأسفار الخمسة التى يؤمنون أنها أسفار موسى عليه السلام ، وأن هذه الأسفار الخمسة هى القسم الأول من أقسام العهد القديم ، الذى يكوِّن بدوره الجزء الأول من كتابهم المقدس ، الذى هو مشتمل على العهدين : العهد القديم والعهد الجديد .

بالإضافة إلى متابعة النصارى لليهود من هذا المنطلق فإن رسالتين من رسائل العهد الجديد قد ورد فيهما نص على أن الذبيح هو إسحاق .

جاء فى رسالة يعقوب :

« ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح ، فترى أن الإيمان عمل مع أعماله ، وبالإيمان أكمل الإيمان ، وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله » (١) .

---

(١) رسالة يعقوب ٢ : ٢٠ ـ ٢٣ .

وجاء في رسالة بولس إلى العبرانيين :

« بالإيمان قدم إبرهيم إسحاق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيده الذى قيل له إنه بإسحاق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا الذين منهم أخذه أيضا فى مثال » (١) .

وبذلك فإن النصارى قد تابعوا اليهود فى أن الذبيح إسحاق عليه السلام ، وكان حادث الذبح فرصة ثمينة تلقفها الذين بدلوا دين المسيح عيسى عليه السلام حيث اتخذوها سنداً وحجة لعقيدة الصلب والفداء ، ومن هذا المنطلق أيضا رأوا أن الذبيح إسحاق ، فلو كان إسماعيل لما كان لاستشهادهم به على ما زعموه من صلب المسيح ، وتقديمه كذبيحة للخلاص والفداء ، أى تأثير ، حيث إن المسيح عيسى ابن مريم من ذرية إسحاق وليس من ذرية إسماعيل عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

جاء فى السنن القويم أن كون إسحاق أطاع أباه ولم يمانع يعد رمزاً إلى المسيح الذى سيق إلى الذبح ولم يفتح فاه إطاعة لإرادة أبيه فأحياه الله كما أحيا ابنه ، فكان فى هذه التجربة قصد روحى وهو الإيماء إلى الذبيحة الكفارية ذبيحة الفادى التى هى غنى الكنيسة المسيحية وركن دينها وتعليمها وسعادتها كنيسة الله التى اشتراها بدمه (٢) .

ويذكر الدكتور ف . ب . ماير أن تصرف إبراهيم فى هذه الحادثة يزيدنا فهما للذبيحة التى قدمها الله لخلاصنا ، فإن خضوع إسحاق وهو موضوع على المذبح ورقبته معرضة للسكين ، يعطينا فكرة أعمق عن طاعة المسيح حتى الموت كذلك فإن إعادة إسحاق حياً كمن قام من الأموات بعد أن صار فى حكم المائت فى نظر والده ثلاثة أيام ، يعطينا فكرة عن قيام المسيح من الأموات فى

---

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين ١١ : ١٧ ــ ١٩ .

(٢) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم جـ١ صـ ١٥٧ سفر التكوين .

اليوم الثالث .

ثم يذكر أن الحقيقة تفوق الرمز : فإن إسحاق تألم وهو شاعر تماماً بوجود أبيه معه ، أما المسيح فقد تصاعدت من جنبه تلك الصرخات المدوية : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » .

وإسحاق بذل معه كل ما يمكن تخفيف آلامه وأحزانه ، أما المسيح فقد قاسى الأمرين من جند الرومان ، ثم من الكتبة والفريسيين (١) .

وإسحاق نجا من الموت .

أما المسيح فقد شرب الكأس حتى الثمالة (٢) .

وعلى هذا المنوال نسج شراح الكتاب المقدس ومفسروه من النصارى باذلين أقصى جهودهم فى الربط بين إسحاق والمسيح ، واستغلال حادث الذبح فى صنع متكأ يتكئون عليه ومصدر ينهلون منه ليدعموا هذه العقيدة التى أبطلها القرآن الكريم بطلانا قاطعا وحاسما فى قوله تعالى : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** ﴾ (٣) .

وقد توصل العلماء النصارى أنفسهم بعد امتداد حركة نقد الكتاب المقدس إلى ما أثبته القرآن الكريم وبينوا أن هذه العقيدة عقيدة وثنية نقلها بولس اليهودى من الديانات الوثنية التى كانت سائدة فى عصره وأفسد بها دين المسيح عليه السلام (٤) .

---

(١) وما قاساه المسيح عليه السلام من بولس اليهودى وأمثاله أمر بكثير .

(٢) حياة إبراهيم صـ ١٥٧ .

(٣) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) يراجع فى ذلك كتاب طاهر التنير « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوى نشر دار الصحوة بالقاهرة وكتاب شارل جينيبر : المسيحية : نشأتها وتطورها ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف ١٩٨١ م .

المبحث الثانى

نقد ماورد فى قصة الذبيح عند أهل الكتاب



المبحث الثاني : نقد ما ورد في قصة الذبيح عند أهل الكتاب

وبعد أن عرضت للنصوص الواردة في سفر التكوين ، والتي يعتمد عليها اليهود والنصارى ، والنصوص الواردة في العهد الجديد والتي يعتمد عليها النصارى فقط ، حيث صرح فيها جميعاً باسم الذبيح على أنه إسحاق ، ننتقل إلى مناقشتهم من خلال هذه النصوص نفسها ، ونصوص أخرى من أسفارهم :

الملاحظة الأولى :

أول ما نلاحظ على النصوص الواردة في سفر التكوين أنها وصفت الابن الذبيح بأنه وحيد إبراهيم وكررت هذا الوصف ثلاث مرات :

« خذ ابنك وحيدك » (١) .

« فلم تمسك ابنك وحيدك عني » (٢) .

« لم تمسك ابنك وحيدك » (٣) .

مع ملاحظة أخرى أن كلمة « إسحاق » أضيفت إلى كلمة « وحيدك » في المرة الأولى فقط ، وفي المرتين الثانية والثالثة ذكرت كلمة « وحيدك » دون أن تقترن بكلمة « إسحاق » .

ولنا أن نتساءل : هل ينطبق على إسحاق هذا الوصف ؟ .

ولن نذهب بعيداً لنعرف جواب ذلك .

فمن خلال نصوص السفر نفسه نجد أن إسحاق قد ولد بعد إسماعيل إذ

---

(١) تكوين ٢٢ : ٢ .

(٢) تكوين ٢٢ : ١٢ .

(٣) تكوين ٢٢ : ١٦ .

كانت سارة عقيماً لاتلد [1] .

فعرضت على إبراهيم أن يدخل بهاجر ، وحملت هاجر وحدث ما حدث من غيرة سارة منها وإذلالها حتى ولدت :

« وأما ساراى امرأة إبرام فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراى لإبرام ، هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، ادخل على جاريتى ، لعلى أرزق منها بنين ، فسمع إبرام لقول ساراى .

فأخذت ساراى امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها ، فقالت ساراى لإبرام ظلمى عليك ، أنا دفعت جاريتى إلى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت صغرتُ فى عينيها ، يقضى الرب بينى وبينك ، فقال إبرام لساراى هوذا جاريتك فى يدك افعلى بها مايحسن فى عينيك ، فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها [2] .

وفى نهاية الإصحاح « فولدت هاجر لإبرام ابناً ، ودعا إبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل « كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام » [3] .

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام لم يولد له إسماعيل إلا فى السادسة والثمانين من عمره ، فإن إسحاق لم يولد له إلا بعد أن بلغ المائة سنة من عمره كما ذكر السفر نفسه : جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من هذا السفر :

« وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه » [4] .

فبحساب التوراة اليهودية يكون إسماعيل قد بلغ الرابعة عشرة من عمره

(١) تكوين ١٦ : ١ ، ٢ .
(٢) تكوين ١٦ : ١ ـ ٦ .
(٣) تكوين ١٦ : ١٥ ـ ١٦ .
(٤) تكوين ٢١ : ٥ .

أثناء ولادة إسحاق .

بل إن سفر التكوين قد نص فى موضع آخر على أن إسماعيل كان عمره ثلاث عشرة سنة حينما ختنه أبوه إبراهيم ، وقد تم هذا حينما بشر بإسحاق قبل أن تحمل به أمه سارة ، وكان عمره فى هذا الوقت تسعا وتسعين سنة [1] .

وبناءً على ذلك فإنه لايمكن أن يتحقق وصف الابن الوحيد لإسحاق إلا بموت إسماعيل فى حياة أبيه .

ولكن الأسفار تذكر أن إسماعيل كان موجوداً أثناء فطام إسحاق [2] .

بل إنها تثبت أيضا أن إسماعيل ظل حيا حتى قام بدفن إبراهيم مع أخيه إسحاق عليهم السلام [3] .

ولاينطبق هذا الوصف إلا على إسماعيل طوال الأربعة عشر عاماً قبل مولد إسحاق .

معنى ذلك أن قصة الذبح هذه قد جرت حوادثها فى هذه الفترة ، وكان بطلها إسماعيل وليس إسحاق .

ومعنى ذلك أيضا أن وصف الابن الوحيد لاينطبق على إسحاق بأى صورة من الصور ، وأن كلمة « إسحاق » لاتتلاءم مع هذا الوصف ، وأنها قد أقحمت إقحاماً وحشرت حشراً على النص ، إذ أنها لاتتفق مع وصف الابن الوحيد ، وأوجدت تناقضاً بين كون الابن الذبيح وحيد إبراهيم ، وبين كونه إسحاق .

ومما يدل على ذلك أن التوراة تحدثت عن الذبيح ووصفته بأنه « وحيدك » دون أن تقرنه بكلمة إسحاق كما سبق أن أشرت إلى ذلك .

---

(١) تكوين ١٧ : ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) تكوين ٢١ : ٩ .
(٣) تكوين ٢٥ : ٩ .

بل إن مما يؤكد إضافة كلمة « إسحاق » أن التلمود قد أورد هذه الفقرة خالية من كلمة « إسحاق » [١] .

كذلك فإن إنجيل « برنابا » يذكر على لسان المسيح عليه السلام أن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق ، وأن إسماعيل هو الذبيح .

فقد ورد فى آخر الفصل الثالث والأربعين من إنجيل برنابا قوله على لسان المسيح « صدقونى لأنى أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق » [٢] .

وفى بداية الفصل الرابع والأربعين ورد مايلى :

« حينئذ قال التلاميذ : « يامعلم هكذا كتب فى كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق ، أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو الكتاب ولكن موسى لم يكتبه ولايسوع ، بل أحبارنا الذين لايخافون الله ، الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا لأن الملاك قال : يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقا ، يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله ، أجاب إبراهيم « ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله » فكلم اللهُ حينئذ إبراهيم قائلاً : « خذ ابنك بكرك إسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » [٣] .

ومما يزيد التوكيد بشأن إضافة كلمة إسحاق أن النسخة العبرية تشتمل على

---

(١) ذكر بولانو أن الفقرة التى أوردت حادث الذبح فى التلمود خالية من كلمة إسحاق ونقل ترجمتها بالعربية المهندس أحمد عبد الوهاب كالآتى :

« وكان كلام الرب إلى إبراهيم » « والآن خذ ابنك وحيدك الذى تحبه وأصعده محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ٥٠ ـ ٥١ طبع ونشر مكتبة وهبة ١٩٧٢ م .

(٢) إنجيل برنابا صـ٦٨ ترجمة الدكتور خليل سعادة قدم له الشيخ رشيد رضا ـ نشر مطبعة ومكتبة صبيح بالأزهر .

(٣) المصدر السابق

كلمة « بكرك » بدلاً من كلمة « وحيدك »[1] .

ففى نقاش لى مع عدد من أساتذة اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس[2] حول هذا الموضوع أطلعونى على النسخة العبرية للأسفار الخمسة ، ولسفر التكوين على وجه خاص ، وذكروا لى أن الترجمة العربية الصحيحة للكلمة التالية لكلمة « ابنك » هى كلمة « بكرك » وليست « وحيدك » .

ولفظ « بكرك » بدون شك ولاريب ـ أشد دلالة وأكثر تحديداً من لفظ « وحيدك » حيث إن الوحيد قد يكون بكراً وقد يكون غير بكر بافتراض موت البكر أو اغترابه .

ولم يكن إسحاق وحيد إبراهيم فى يوم من الأيام ، ولم يكن أيضا بكره ، وإنما كان إسماعيل هو البكر وحده ، وانطبق عليه وصف « الوحيد » مدة أربعة عشر عاماً قبل مولد إسحاق وهى الفترة التى يرجح أن تكون حادثة الذبح والفداء قد تمت فيها.

نقد علماء الإسلام لما ورد فى توراة اليهود :

هذا وقد تنبه إلى ذلك كله كثير من العلماء المسلمين ، حيث اطلعوا على نسخة التوراة اليهودية ، ولمسوا مافى نصوصها من تناقض واضطراب ، واستدلوا بذلك على تحريف اليهود لها ، وتبديلهم لنصوصها .

فمن علمائنا القدامى نشير إلى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، وتلميذيه : الإمام ابن القيم ، والحافظ ابن كثير :

---

(١) هذا يؤكد صدق ماورد فى إنجيل برنابا ، وأن النسخة الأصلية كان فيها أن الذبيح إسماعيل ، ثم قام الكتبة بحذفها ووضعوا مكانها كلمة « إسحاق » .

(٢) أذكر من هؤلاء الأساتذة : الدكتور محمد بحر عبد المجيد وله كتاب بعنوان « اليهودية » والدكتور محمد على حسن هوارى وعنوان رسالته (الدكتوراه) : الألوهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبى البابلى ـ قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣م .

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن فى التوراة التى فى أيدى اليهود أن الله سبحانه قال لإبراهيم « اذبح ابنك وحيدك » **وفى ترجمة أخرى « بكرك »** .

وإسماعيل هو الذى كان وحيده وبكره ، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا « إسحاق » [1] .

ويضيف ابن القيم إلى كلام شيخه قائلاً : إن بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث ، فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره ، وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين [2] .

أما الحافظ ابن كثير فإنه يذكر أن بنى إسرائيل بدلوا وحرفوا وأوّلوا التوراة والإنجيل ، وخالفوا ما بأيديهم فى هذا من التنزيل ، فعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه « وحيده » **وفى نسخة من المعربة « بكره »** فأقحموا ههنا كذبا وبهتانا « إسحاق » .

ثم يذكر أن هذا لايجوز لأنه مخالف لنص كتابهم ، حيث ورد فيه أن إسماعيل ولد ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة ، وأن إسحاق قد ولد بعد مضى مائة سنة من عمر الخليل ثم يؤكد ابن كثير أن إسماعيل هو البكر لامحالة ، وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حال :

أما فى الصورة فلأنه كان ولده أزيد « أكثر » من ثلاثة عشر عاماً ، وأما فى المعنى فإنه هو الذى هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر ، وكان صغيراً رضيعاً ـ فيما قيل ـ فوضعهما فى وهاد جبال فاران وهى الجبال التى حول مكة ، وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل ، وذلك ثقة بالله وتوكلاً عليه ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٤ صـ ٣٣٢ ، منهاج السنة النبوية جـ٥ صـ٣٥٣ تحقيق د/ محمد رشاد سالم .

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ صـ ٣٤٨ .
زاد المعاد جـ ١ صـ ٧٢ .

فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفايته ، فنعم الحسيب والكافى والوكيل والكفيل ، فهذا هو الولد الوحيد فى الصورة والمعنى ، ولكن أين من يتفطن لهذا السر ؟ وأين من يحل بهذا المحل ؟ والمعنى لايدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل ! ! .

ثم يذكر ابن كثير أن اليهود أقحموا إسحاق هنا لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذى ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان قد ذهب به وبأمه إلى مكة .

وهو تأويل وتحريف باطل ، فإنه لايقال « وحيدك » إلا لمن ليس له غيره [1] .

ومن العلماء المحدثين نكتفى بالإمام الألوسى كمثال حيث يذكر أن الله تعالى امتحن إبراهيم كما ورد فى التوراة ، فقال له : ياإبراهيم فقال : لبيك ، قال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه وامض إلى بلد العبادة ، وأصعده ثَمَّ قربانا على أحد الجبال الذى أعرفك به فإن معنى « وحيدك » الذى ليس لك غيره .

ولايصدق ذلك على إسحاق حين الأمر بالذبح ، لأن إسماعيل كان موجوداً إذ ذاك لأنه ولد لإبراهيم على مافى التوراة وهو ابن ست وثمانين سنة ، وولد إسحاق على مافيها أيضا وهو ابن مائة سنة .

وينتهى الألوسى إلى القول بأنه يعلم مما ذكر أن ما فى التوراة الموجودة بأيدى اليهود اليوم من ذكر « إسحاق » بعد الذى تحبه من زياداتهم وأباطيلهم التى أدرجوها فى كلام الله تعالى إذ لايكاد يلتئم مع ما قبله [2] .

ثم يذكر الألوسى أنه ناقش بعض اليهود فى ذلك فأجابوه بأن إطلاق الوحيد على إسحاق ، لأن إسماعيل كان إذ ذاك بمكة ، وهو تحريف وتأويل باطل ، لأنه لايقال « الوحيد » وصفاً للابن إلا إذا كان واحداً فى البنوة ولم يكن

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ ١٤ قصص الأنبياء جـ١ صـ ١٩٣ .

(٢) روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٤ .

له شريك فيها وناقش البعض الآخر فقالوا له : إن إطلاق ذلك عليه لأنه كان واحداً لأمه ولم يكن لها ابن غيره .

ويعقب على هذا بقوله « يبعد ذلك كل التبعيد إضافته إلى ضمير إبراهيم عليه السلام » [(١)] .

وهكذا وجدنا علماءنا سواء منهم القدامى أو المحدثين - وقد اخترنا نماذج منهم - قد اطلعوا على التوراة التى بأيدى اليهود ، وقاموا بدراستها دراسة واعية وفحصوا نصوصها فحصاً كاملا ، وناقشوا اليهود المعاصرين لهم فى مسألة الذبيح ، وقاموا بإبطال حججهم ونقد آرائهم بعد أن أثبتوا لهم تضارب نصوصهم وتناقض أقوالهم ، واضطراب مصادرهم .

إلا أننا نلاحظ أن الإمام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن كثير قد اطلعا على نسختين أو على ترجمتين إحداهما جاء فيها لفظ « بكرك » بدلاً من « وحيدك » ومن المرجح أنها النسخة العبرية والتى ترجمت ترجمة صادقة فى هذه الكلمة بالذات .

أما الإمام الألوسى فلم يشر إلى هذه الترجمة أو إلى هذه النسخة وإنما ذكر أنه اطلع على النسخة التى بأيديهم وفيها لفظ « وحيدك » وليس « بكرك » .

وهذه هى الترجمة العربية الموجودة فى العصر الحديث (٢) حيث قام اليهود والنصارى بإخفاء هذا اللفظ عند الترجمة إلى اللغة العربية ووضع كلمة « وحيدك » حتى يمكنهم تبريرها .

إلا أن وجود النسخة العبرية الآن دليل مؤكد على التحريف الذى وقع والزيادة التى أضيفت حيث أضيفت كلمة « إسحاق » إلى « بكرك »

---

(١) المصدر السابق جـ ٢٣ صـ ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) راجع ترجمات العهد القديم فى مدخل كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » نشر دار البشير طنطا ١٩٩٤م .

وحذفت كلمة « إسماعيل » .

وكما يقول الدكتور محمد أبو شهبة فإن اليهود حينما حرفوا التوراة ليتم لهم ما أرادوا أبى الله سبحانه إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء ، والجانى - غالبا - يترك مايدل على جريمته ، والحق يبقى له شعاع ، ولو خافت ، يدل عليه مهما حاول المبطلون إخفاء نوره ، وطمس معالمه .

فقد حذفوا من التوراة لفظ « إسماعيل » ووضعوا بدلاً منه لفظ « إسحاق » ولكنهم غفلوا عن كلمة « وحيدك » التى كشفت عن هذا التزوير ، وذلك الدس المشين [(١)] .

الملاحظة الثانية :

من خلال قراءة نص التوراة اليهودية الوارد فى سفر التكوين نلاحظ أنه وصف الذبيح بقوله « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » وذكرنا أن فى النسخة العبرية لفظ « بكرك » بدلاً من لفظ « وحيدك » .

وإذا كنا قد بينا بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة أن إسماعيل هو الذى ينطبق عليه وصف الابن الوحيد ووصف الابن البكر ، واعتمدنا فى ذلك على ماورد فى نصوص التوراة اليهودية نفسها .

إذا كنا قد بينا ذلك فإنه يبقى الآن أن نبين أن قول السفر عن الذبيح « الذى تحبه » ينطبق أيضا على إسماعيل وأنه الأجدر بالجمع بين الأوصاف الثلاثة معا :

الوصف بأنه الابن الوحيد لإبراهيم .

الوصف بأنه الابن البكر لإبراهيم .

الوصف بأنه الابن الذى يحبه إبراهيم .

---

(١) راجع كتابيه الاسرائيليات والموضوعات صـ٣٥٦ والسيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة جـ١ صـ١١٤، وانظر أيضا د / على عبد الواحد وافى : بحوث فى الإسلام والاجتماع صـ ١٤١ .

وليس معنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يحب إسحاق عليه السلام حاش وكلا ، إنه كان يحبه وفرح به قبل أن يولد حين بشر به ولكنه كان يحب إسماعيل أكثر لأنه كان وحيده طوال أربعة عشر عاما حسب ماورد في التوراة ، ولأنه ابنه البكر ، وغالبا فإن الأب يخص ابنه البكر بمحبة تفوق محبة إخوته الباقين.

فلو رجعنا إلى سفر التكوين نجد أن محبة الخليل إبراهيم لابنه إسماعيل كانت واضحة جداً وبشكل بارز لدرجة أن كتبة التوراة لم يستطيعوا إخفاءها كما أخفوا كثيراً من الوقائع الدالة على هذه المحبة والتي وردت أيضا في السنة النبوية ، وإن كان كتبة التلمود قد أشاروا إلى شيء منها .

ولنرجع أولاً إلى سفر التكوين فسوف نجد أن إبراهيم عليه السلام قد ظهر له الرب بعد مولد إسماعيل بثلاثة عشر عاماً ليؤكد له العهد ، ويجعل الختان له علامة ، ويبارك إبراهيم والصالحين فقط من نسله ويبشره بإسحاق وليداً من سارة :

جاء في الإصحاح السابع عشر : « ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له : أنا الله القدير ، سر أمامي وكن كاملاً ، فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً ، فسقط إبراهيم على وجهه وتكلم الله معه قائلاً : أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم .... وأقيم عهدي بينك وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ... يختن منكم كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ...

وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابناً .... » [1] .

---

(١) راجع سفر التكوين ١٧ : ١ ـ ١٧ .

بعد أن سمع إبراهيم عليه السلام هذا الكلام ماذا قال :

« وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك » [1] .

فقد كان إسماعيل ابنه هو شغله الشاغل ولذلك فإنه اغتنم الفرصة وأخذ يدعو الله أن يكلأ إسماعيل برعايته فاستجاب الله له ووعده خيراً فى إسماعيل [2] .

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » [3] .

وعندئذ قام إبراهيم بختان ولده إسماعيل تحقيقا للعهد [4] .

وهناك موقف آخر ذكره أيضا سفر التكوين .

فبعد أن تمت ولادة إسحاق من سارة طلبت من إبراهيم مدفوعة بغيرتها الشديدة أن يقوم بطرد هاجر وابنها إسماعيل ، وكأنها تشير له إلى أن إسماعيل لم يعد له مكان فى حياته بعد أن ولد له إسحاق ، فماذا كان موقف الخليل إبراهيم ؟

إنه غضب كثيراً من قولها ، وساءه كثيراً أن تطلب منه هذا الطلب العجيب .

جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين :

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه » [5] .

---

(١) تكوين ١٧ : ١٨ .

(٢) أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ٤٦ .

(٣) تكوين : ١٧ : ٢٠ .

(٤) تكوين : ١٧ : ٢٦ .

(٥) تكوين ٢١ : ٩ ــ ١١ .

ففى هذا الموقف رغم أن إبراهيم صار له الآن ولدان ـ إسماعيل وإسحاق ـ كان يمكن أن يتعزى بولده إسحاق حين يفارقه إسماعيل ، إلا أن كلام سارة أغضب إبراهيم كثيراً ، وساءه أشد الاستياء لأنه كان موجها ضد مستقبل ابنه الذى يحبه إسماعيل [1] .

إذا كان كتبة سفر التكوين لم يستطيعوا إخفاء هذين الموقفين فإن هناك مواقف عديدة تكشف بجلاء عن مدى العلاقة الحميمة والصلة الوطيدة بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وخاصة فى مكة حينما قاما برفع القواعد من البيت .

يقول تعالى **﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾** [2] .

ومن المواقف التى تثبت بجلاء مدى تعلق إبراهيم الخليل بابنه إسماعيل وحرصه على زيارته والاطمئنان عليه بعد أن تركه هو وأمه هاجر فى مكة ، ذلك الموقف الذى ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ، والذى وردت قصته فى أسفار التلمود :

قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم ضمن حديث طويل سنذكره كله فيما بعد [3] :

« وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع بركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بِشَرٍ نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له : يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل وكأنه آنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٤٦ . (٢) البقرة : ١٢٧ .

(٣) عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل من المسلمين .

فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنّا فى جَهْد وشدة .

قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك .

قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها وتزوج منهم ــ أى من قبيلة جرهم ــ أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ودخل على امرأته ، فسألها عنه فقالت : خرج يبتغى لنا قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل ، قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء .

قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء ....

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته ، وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال : أفأوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، وهو يقرئ السلام عليك ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال ذاك أبى وأنت العتبة ، وأمرنى أن أمسكك » [1] .

وبعد ذلك جاءهم الخليل وقام هو وإسماعيل ببناء البيت [2] .

وقد أورد التلمود هذه القصة ضمن شذرات ذكرها عن حياة إسماعيل وعلاقته بأبيه .

يقول التلمود : « لقد عاش إسماعيل مع أمه فترة من الزمن فى برية فاران ،

(١) هذه القصة ضمن حديث طويل رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما راجع فتح البارى لابن حجر حديث رقم ٣٣٦٤ كتاب الأنبياء جـ٦ صـ ٣٩٦ ــ ٣٩٨ المطبعة السلفية ومكتبتها.

(٢) راجع شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ أبى الطيب تقى الدين جـ٢ صـ ٤ .

ثم رحلا إلى مصر حيث تزوج إسماعيل وأنجب هناك أربعة أولاد وبنتا واحدة ، لكنه سرعان ما عاد إلى البرية موطنه المفضل حيث بنى الخيام لنفسه ولعائلته وشعبه ، فقد باركه الله وجعله مالكا للكثير من قطعان الماشية والأغنام .

وحدث بعد عدة سنوات أن استسلم إبراهيم لرغبة كانت تتملكه دائماً لزيارة ابنه إسماعيل ، فأخبر سارة بذلك ثم بدأ رحلته على جمل .

ولما وصل إلى مسكن ابنه إسماعيل وجده خارجاً يصطاد ووجد زوجته التى لم تكن تعرف حماها فعاملته بجفاء ، ورفضت تقديم الماء والطعام إليه ، فقال لها إبراهيم :

« عندما يعود زوجك ، صفى له مظهرى ثم قولى له : جاءنا رجل عجوز من أرض الفلسطينيين وهو يطلب منك أن تستبدل وتد خيمتك بآخر أصلح منه ثم ركب إبراهيم دابته وانصرف ، ولما عاد إسماعيل وقصت عليه زوجته الخبر أيقن إسماعيل أن الزائر كان أباه إبراهيم ، وأن زوجته لم تحسن معاملته ، فطلقها وتزوج بأخرى » .

ويذكر التلمود أن القصة تكررت ثانية بعد نحو ثلاث سنوات ، ولكن فى تلك المرة كانت زوجة إسماعيل الجديدة كريمة مع حميها ، ولما رجع إسماعيل إلى بيته وعلم ماحدث سُرَّ كثيراً بزوجته ، ثم « أخذ زوجته وعائلته وسافر لزيارة والده ، وبقوا معه هناك فى أرض فلسطين عدة أيام » [1] .

وقد قام المهندس أحمد عبد الوهاب بترجمة هذه القصة من الترجمة الإنجليزية للتلمود إلى اللغة العربية ، واستخلص منها عدة دلالات هامة منها :

* أن إبراهيم كان شديد التعلق بابنه إسماعيل رغم استقرار حياته مع سارة

---

(١) راجع كتاب المهندس أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٤٧ وقد نقل هذه القصة عن الكاتب اليهودى بولانو من الترجمة الإنجليزية للتلمود .

وابنها إسحاق ، وكان إسماعيل هو الابن المقرب إلى قلب أبيه .

* كذلك نعلم أن موطن إسماعيل كان بعيداً عن أرض الفلسطينيين بحيث لوظهر فيه رجل منهم لكان غريباً ، ولقد كان ذلك الموطن فى الصحراء العربية المجاورة لفلسطين حيث الجمل هو وسيلة الانتقال الرئيسية .

* وكل هذا يتفق مع ماتذكره المصادر الإسلامية والمراجع العربية من هجرة إسماعيل إلى الحجاز واستقراره هناك ، ثم دوام الصلة بينه وبين أبيه حتى أواخر أيامه.

ومن كل ذلك يتضح أن إسماعيل كان هو الشخص الوحيد الذى يمكن أن يخاطب فيه إبراهيم فيقال له : « ابنك وحيدك الذى تحبه » [1] .

فإسماعيل إذن هو الذى ينطبق عليه وصف الابن الذى يحبه أبوه لأنه بكره ووحيده .

وقد استدل الإمام ابن القيم بذلك على أن إسماعيل هو الذبيح فذكر أن الله سبحانه أجرى العادة البشرية على أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده .

وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ، ووهبه له ، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله سبحانه قد اتخذه خليلاً ، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة ، وأن لايشارك بينه وبين غيره فيها والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقاً بربه ليس فيه شعبة لغيره ، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد ، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل ، حيث أراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتحنه بأن أمره بذبح المحبوب ، فلما أقدم على الامتثال ، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد ، خلصت الخلة ، حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق إذن فى الذبح مصلحة ، إذ كانت المصلحة إنما

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٤٧ ـ ٤٨ مكتبة وهبة ١٩٧٢ م .

هى فى العزم وتوطين النفس على الامتثال ، فقد حصل المقصود ، فنسخ الأمر بالذبح ، وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا ، وحصل مراد الرب .

ومن المعلوم أن هذا إنما يكون فى أول الأولاد ، لا فى آخرهم فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج فى الولد الآخر إلى مثله ، ولم يكن يحصل فى المولود الآخر دون الأول ، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة مايقتضى الأمر بذبحه وهذا فى غاية الظهور (١) .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن أول ولد له محبة خاصة لاتتأتى لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه ابلغ فى الابتلاء والاختبار (٢) .

ويرى الإمام الألوسى أن قول التوراة « الذى تحبه » أليق بإسماعيل لأن أول ولد له من المحبة فى الأغلب ماليس لمن بعده من الأولاد (٣) .

الملاحظة الثالثة :

وإذا كان قد ثبت من خلال نصوص أسفار اليهود والنصارى هذا التناقض الصارخ ، وذلك الاضطراب الفاضح ، فماذا يقولون وكيف يبررون إطلاق البكورية والواحدية على إسحاق دون إسماعيل عليهما السلام ؟

يتعلل أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى بحجة واهية ، ولكنهم تمسكوا بها انطلاقاً من عنصريتهم البغيضة ، وعصبيتهم المقيتة ، لإسحاق دون أخيه إسماعيل ، ولنسل إسرائيل دون نسل إسماعيل .

---

(١) راجع ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ١ صـ٧٤ ـ ٧٥ ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢صـ٣٥٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٤ قصص الأنبياء جـ١ صـ١٩٣ .

(٣) روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٤ .

فهم يزعمون أن البكورية قد سقطت عن إسماعيل بسبب أن أمه كانت جارية ، فاعتبروا بذلك أن إسحاق هو البكر .

ويكفى أن نرجع إلى سفر التثنية ليتبين لنا بطلان تلك الحجة التى استندوا عليها ، حيث يبين لنا السفر أن كون إسماعيل ابن جارية كما يزعمون لا يسقط حق بكوريته ، فإن البكورية تثبت لصاحبها وحق مقرر له ، سواء كانت أمه متساوية مع أم أخيه ، أو كانت دونها فى المنزلة :

يقول السفر « إذا كان لرجل امرأتان (زوجتان) : إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة ، فإن كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان لايحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » (١) .

معنى ذلك أن حق البكورية ثابت ومقدس ، لاينتفى ولايزول بكون الزوجة مكروهة أو محبوبة .

فإن قيل:إن هاجر لم تكن زوجة لإبراهيم وإنما كانت من سراريه وقد قال بذلك اليهود والنصارى لينالوا من السيدة هاجر رضى الله عنها ، ولكننا نأتى لهم أيضا بنصوص من أسفارهم تقطع بعكس مايقولون وتثبت ضد مايزعمون .

حيث ورد فى سفر التكوين :

« فأخذت ساراى امرأة إبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان ، وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له » (٢) .

كذلك فإنه قد ورد فى نفس السفر أن « راحيل » زوجة يعقوب الثانية ، حينما وجدت نفسها عقيماً لاتلد ، طلبت منه عليه السلام أن يدخل بجاريتها

---

(١) تثنية : ٢١ : ١٥ ـ ١٧ .

(٢) تكوين ١٦ : ٣ .

« بلهة » .

ووجه الاستشهاد أن عبارة السفر تقطع بأن هذه الجارية قد صارت زوجة « فأعطته بلهة جاريتها زوجة ، فدخل عليها يعقوب » (١) .

وفى نفس السفر أيضا حدث أن « ليئة » زوجة يعقوب الأولى قدمت أيضا جاريتها زوجة ليعقوب ، بعد أن توقفت عن الولادة :

« ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة أخذت « زلفة » جاريتها ، وأعطتها ليعقوب زوجة » (٢) .

وقد أنجبت كل من هاتين الجاريتين « بلهة » و « زلفة » ليعقوب أربعة من البنين : « دان » و « نفتالى » من « بلهة » و « جاد » و « أشير » من « زلفة » وقد تساووا جميعاً مع أبناء يعقوب الباقين الذين ولدتهم « ليئة » و « راحيل » زوجتاه (٣) .

وهكذا فإن « هاجر »عليها السلام زوجة لإبراهيم وأم لإسماعيل عليهما السلام ويتساوى ولدها إسماعيل مع ولد سارة « إسحاق » عليهما السلام (٤) حسب ماورد فى سفر التكوين ، ومثلما تساوى أبناء يعقوب الاثنا عشر جميعاً رغم أن أربعة منهم ولدتهم جاريتان لزوجتيه ، ولكنهما أصبحتا زوجتين ليعقوب كما أن هاجر أصبحت زوجة لإبراهيم الخليل .

بل إن سفر التكوين يرفع مكانة هاجر إلى درجة مناداة ملاك الله لها من السماء ومخاطبتها بكلام الله ، وقد حدث هذا مرتين :

---

(١) تكوين ٣٠ : ١ ـ ٤ .

(٢) تكوين ٣٠ : ٩ .

(٣) تكوين ٣٥ : ٢٣ ـ ٢٦ .

(٤) وليس كما يزعم بولس اليهودى فى رسالته لأهل غلاطية « فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد حسب الجد وأما الذى من الحرة فبالموعد » ٤ : ٢٢ ـ ٢٣ .

في المرة الأولى ورد في الإصحاح السادس عشر أن هاجر هربت من وجه ساراى بعد أن أذلتها « فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور ، وقال : ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ .

فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى ، فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها .

وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابناً ، وتدعين اسمه « إسماعيل» لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن ، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رُئى ، لأنها قالت : ههنا أيضا رأيت بعد رؤية ، لذلك دعيت البئر بئر لحي رئى [١] .

فمن خلال هذا النص يتبين لنا مكانة السيدة هاجر عند الرب في تصور اليهود ، وكيف أنه أرسل لها ملاك الرب ليخاطبها ويحدثها حتى يثبت قلبها ، وتهدأ نفسها .

ثم ألقى بهذه البشارات التي تنبئ عن مكانتها عند الله سبحانه ، ومكانة ابنها إسماعيل .

وأما في المرة الثانية فكما يذكر الإصحاح الحادي والعشرون أن هاجر بعد أن تركها إبراهيم هي وابنها مضت وتاهت في البرية « ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابله ، ورفعت صوتها

---

(١) تكوين ١٦ : ٧ – ١٤ .

وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك ياهاجر ؟ لاتخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر » (١) .

معنى ذلك أن بعض نصوص التوراة اليهودية تصف هاجر عليها السلام بما تستحق من رفعة وتكريم ، وأن ملاك الرب قد خاطبها وشد من أزرها ، وربط على قلبها ، وبشرها بإسماعيل وبأنه سيكون أمة عظيمة ، وأن نسله سيكثر وسيرتفع اسمه وتنتشر ذريته .

وبناءً على هذا فإن أى محاولة للنيل من السيدة هاجر عليها السلام ، أو الغض من مكانتها عند الله سبحانه أو عند الخليل إبراهيم عليه السلام ، بما يترتب على ذلك من إسقاط حق إسماعيل فى ميراث أبيه الدينى ، ونزع البكورية منه ، تعد مخالفة صريحة لنصوص التوراة اليهودية نفسها ، سواء كانت هذه المحاولة فى صورة نصوص أخرى من التوراة تتناقض مع ما أوردناه ، أو فى صورة تعليقات من شراح العهد القديم من اليهود والنصارى (٢) .

---

(١) تكوين ٢١ : ١٥ ـ ٢١ .

(٢) من يرجع إلى مفسرى العهد القديم وشراحه يجد أنهم يتوقفون عند هذه النصوص ، فلا يعترفون بما ورد فيها من رفع مكانة هاجر وعلو منزلتها ، ويركزون على النصوص الأخرى التى تنال منها رغم أنها مضافة إلى النصوص الأصلية ومتقولة على السيدة هاجر حقداً عليها وعلى ابنها إسماعيل، ناهيك عن انحدارهم فى قاع الشتائم وانغماسهم فى مستنقع السباب حينما يتحدثون عنها ولنضرب مثلاً على هذا الانحطاط بصاحب كتاب « حياة إبراهيم » الدكتور ف. ب ماير والذى قام بترجمته القمص مرقس داود ونشرته مكتبة « المحبة » بالقاهرة يقول هذا المخلوق « نحن لاندهش من تصرفات هاجر مع سيدتها إذ عيرتها بوقاحة ، فماذا يمكن أن ينتظر من جارية كهذه وضيعة الأصل » ثم يلمز سيدنا إبراهيم الخليل بقوله : « ولكننا نحزن عندما نراها ونرى ربوات من النساء غيرها صرن ضحية تصرفات الرجال الشهوانية الطائشة والأنانية » ويقصد زواجه عليه =

الملاحظة الرابعة :

هذا وبالرغم من أحقية إسماعيل عليه السلام بالبكورية ، وبطلان نزعها منه حسب ماورد فى أسفارهم ، إلا أن اليهود تناقضوا مع أنفسهم ، ولم ينقادوا للنصوص الواردة فى أسفارهم المقدسة والتى أشرنا إليها آنفاً ، فنراهم قد ذكروا فى مواضع أخرى من أسفارهم ، أن إسماعيل عليه السلام قد حرم من ميراث أبيه ، وأن إسحاق وحده هو الوريث وله حق البكورية :

جاء فى سفر التكوين أن إبراهيم أعطى لإسحاق كل ما يملك ، وصرف عنه بقية أبنائه :

« وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له ، وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم [1] فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حى » [2] .

معنى ذلك أن إسحاق قد نال خصوصية تفرد بها دون سائر إخوته ، وتظهر هذه الخصوصية ــ حسب زعمهم ــ فى أن الله سبحانه قد أقام العهد مع إسحاق وحده دون أخيه إسماعيل .

= السلام من هاجر ، ثم يذكر أن هاجر أخذت من مركزها الحقيقى ووضعت فى مركز زائف أصبحت فيه أما دون أن تكون زوجة شرعية صـ٨٥ـ ٨٦ .

هكذا وبهذا التطاول ، ومع التطاول مخالفة لنصوص الكتاب المقدس التى تكرم هاجر وتجعلها زوجة شرعية ، وتنص على أنها حظيت بمخاطبة ملاك الرب والكتاب مملوء بالشتائم والإهانات واللعنات يصبها هذا المؤلف على رءوس الأنبياء وزوجاتهم وأمهاتهم ، وما نقلته عنه إنما هو قطرة من بحر ، ولولا أننى أربأ بقرائى الكرام عن قراءة مثل هذه المهازل لما تعففت عن ذكرها وفضحها

(١) ورد فى سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام تزوج للمرة الثالثة من امرأة تسمى « قطورة » وأنها ولدت له « زمران » و « يقشان » و « مدان » و « مديان » و « يشباق » و « شوحار »(١١ : ١ - ٧) وبذلك يكون إبراهيم قد أنجب ذرية أخرى بعد إسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة فتكون ذرية إبراهيم كما وردت فى السفر محصورة فى ذريتهما وفى أولاد « قطورة » حيث أنجب أبناؤها أولاداً وأطلق عليهم جميعاً « بنو قطورة » تكوين ٢٥ : ٣ - ٤ .

(٢) تكوين ٢٥ : ٥ ــ ٦ .

فبعد أن أقام الرب العهد بينه وبين إبراهيم على أن يدوم هذا العهد مع نسله جميعاً بمن فيهم إسماعيل وإسحاق حيث يقول : « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك وأعطى لك ولنسلك من بعدك فى أرض غربك » (١) .

وأمره الرب بحفظ العهد هو ونسله أيضا من بعده حيث ورد فى سفر التكوين : « وأنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك » (٢) .

بعد ذلك إذا بنا نفاجأ بأن الرب ـ فى زعمهم ـ يخص إسحاق وحده بالعهد :

جاء فى سفر التكوين « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » (٣) .

وحينما طلب إبراهيم من الرب سبحانه أن يقيم العهد مع إسماعيل كان الرد عليه حسب زعمهم « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً ، ولكن عهدى أقيمه مع إسحاق » (٤) .

واستمراراً فى هذا التمييز وذلك الاختصاص إذا بسارة يوم فطام « إسحاق» رأت ابن هاجر المصرية يمزح فقالت لإبراهيم : « اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق » (٥) .

فسارة إذن ـ كما يزعمون ـ هى التى أشارت بحرمان إسحاق من ميراث أبيه وأما إبراهيم الخليل فإنه لم يوافق على ذلك بل كما قال السفر : « فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه » (٦) .

(١) تكوين ١٧ : ٧ ـ ٨ .
(٢) تكوين ١٧ : ٩ .
(٣) تكوين ١٧ : ٢٩ .
(٤) تكوين ١٧ : ٢٠ ـ ٢١ .
(٥) تكوين ٢١ : ٩ .
(٦) تكوين ٢١ : ١١ .

وعند ذلك يبادر السفر فيعضد مشورة سارة بوحى الرب : « فقال الله لإبراهيم : لايقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك ، فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل » (١) .

والذى يقرأ سفر التكوين يلاحظ أن العهد الذى قطعه الرب مع إبراهيم حدث للمرة الأولى ، وكان وقتها فى الخامسة والسبعين من عمره (٢) حيث باركه الرب وبارك نسله ، ووعده بأرض كنعان له ، ولنسله من بعده ، وتكرر هذا الوعد بعد ذلك قبل ولادة إسماعيل عليه السلام (٣) .

بل إن إبراهيم قال للرب : إنك لم تعطنى نسلاً وهوذا ابن بيتى وارث لى ، فإذا كلام الرب إليه قائلاً : لايرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك (٤) .

وبعد أن أنجب إبراهيم إسماعيل وهو فى السادسة والثمانين من عمره تكرر الوعد له ولنسله (٥) .

ولم يكن إبراهيم قد أنجب أحداً سوى إسماعيل ، إذ تكرر العهد وهو فى التاسعة والتسعين من عمره (٦) .

ولم ينجب إسحاق إلا بعد أن بلغ المائة من عمره (٧) .

معنى ذلك أن الرب سبحانه كان يعنى إسماعيل بهذا العهد ، بل قال له الرب : الذى يخرج من أحشائك ، وإسماعيل باتفاقهم ولد إبراهيم من صلبه ومن أحشائه على حد تعبيرهم ، بل إن الرب قال لإبراهيم : « وابن الجارية لإسماعيل » أيضا سأجعله أمة لأنه نَسْلُك » (٨) .

---

(١) تكوين ٢١ : ١٢ . (٢) تكوين ١٢ : ١ - ٧ . (٣) تكوين ١٣ : ١٤ - ١٧ / ١٥ : ١٨ .
(٤) تكوين ١٥ : ١ ــ ٤ وابن بيته هو « اليعازر الدمشقى » وكان مالكاً على بيته .
(٥) تكوين ١٦ : ١٦ . (٦) تكوين ١٧ : ١ - ٨ .
(٧) تكوين ١٧ : ١٧ . (٨) تكوين ٢١ : ١٣ .

والسؤال الآن : ما الذى جعل الرب ـ فى زعمهم ـ يغير رأيه ـ وحاشاه سبحانه ـ ويتخطى بوعده إسماعيل ليحظى به إسحاق ؟

هل هى مشورة سارة كما زعموا ؟ وهل يمكن أن يستجيب الخليل لها فى مثل هذه الأمور ؟ .

لكنهم دعموا تلك المشورة بوحى الرب كما رأينا حيث طلب منه الرب وأمره أن يسمع لقولها .

إنهم حاولوا مزيداً من الدعم لذلك الاختصاص المزعوم بإضافة سبب آخر ، أو دعوى جديدة وهى أن إسحاق كان هو الذبيح - وهذا هو بيت القصيد - وقد تأكد العهد لإبراهيم بعد أن أطاع الرب ولم يمسك ابنه وحيده عنه .

والحقيقة أنه تأكد أن العهد لإبراهيم بعد أن أطاع الرب ولم يمسك ابنه وحيده إسماعيل عنه ، وتأكد لإسماعيل بعد أن أطاع الرب وأطاع أباه ولم يمنع نفسه منهما لكن اليهود زعموا أن إسحاق هو الذبيح ليحققوا ما عزموا عليه من استئثاره واختصاصه بميراث أبيه دون إسماعيل :

يذكر الأستاذ عباس العقاد أن إصرار اليهود على جعل إسحاق هو الذبيح دون إسماعيل له جانب هام يفوق فى أهميته جانب البحث التاريخى الذى يراد به مجرد العلم باسم الذبيح من ابنى إبراهيم ، فإنه اختلاف يتعلق به اختيار الشعب الموعود ، ويتعلق به الحذف والإثبات فى سيرة إبراهيم ، ليتصل بذرية إسحاق وينقطع عن ذرية إسماعيل ، أو ليثبت من سيرته كل ما يتعلق بإسرائيل ، وينقطع منها كل ما يتعلق بالعرب .

ويذكر أن هذا النزاع قد بدأ قديماً قبل تدوين نسخ التوارة التى كتبت فى بابل أى قبل الميلاد بعدة قرون (١) وهذا النزاع على العقيدة لم يكن فى نشأته إلا

(١) راجع فقدان اليهود للتوراة السماوية المنزلة على سيدنا موسى وقيامهم بكتابة توراتهم أثناء سبيهم فى بابل فى كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » الباب الثانى نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤ م .

فرعاً من فروع التنازع على الميراث ، ولم يكن شأن الذرية الموعودة أو المختارة إلا أنها تعزز دعواها فى ذلك النزاع ، وتنفى عنها من ينازعها عليه (١) .

فاعتقاد اليهود إذن فى أن إسحاق هو الذبيح جاء استكمالاً لاستبعاد إسماعيل ، واستئثار إسحاق بميراث أبيهما إبراهيم عليهم السلام حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .

أرسل عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلى رجل كان عنده بالشام ، وكان يهودياً فأسلم فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود ، فسأله عمر بن عبد العزيز : أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم (٢) .

وقد تنبه إلى ذلك كثير من علماء المسلمين .

يذكر الإمام ابن القيم أنه سمع من شيخه الإمام ابن تيمية يقول إن فى التوراة التى فى أيدى اليهود : أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ : وحيده ولايشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده .

والذى غرّ أصحاب هذا القول أن فى التورة التى بأيديهم : اذبح ابنك إسحاق ، وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف ، وأحبوا أن يكون لهم ، وأن يسوقوه إليهم ، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله (٣) .

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء صـ٨٧ منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .

(٢) تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٤ تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٧٠ ، تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٨ .

(٣) زاد المعاد جـ١ صـ٧٢ .

ويبين الحافظ ابن كثير أن الذى حمل اليهود على التحريف وجعل إسحاق هو الذبيح حسدهم للعرب ، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق والد يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ الذى ينتسبون إليه .

فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم ، فحرفوا كلام الله ، وزادوا فيه ، وهم قوم بهت ، ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (١) .

ومن هذا المنطلق فإن مصادر اليهود التى ترجع إلى القرن السابع ق . م قد سكتت كل السكوت عن حالة العرب الدينية ، وتعمدت هذه المصادر أن تخرج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من الله ، وقالت إن هذا الوعد إنما هو حق لأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

ويرجع ذلك إلى أمرين :

الأمر الأول : أن انتساب العرب إلى إسماعيل كان تاريخاً مقرراً لا سبيل إلى إنكاره ، عند كتابة المصادر اليهودية التى حصرت النعمة الموعودة فى أبناء إسحاق ، بدليل أنه لو لم يكن كذلك ، لما كانت بهم حاجة إلى التمييز بين أبناء إسحاق وأبناء إسماعيل ، إذ كان يكفى أن يقال : إن النعمة الموعودة من نصيب أبناء إبراهيم عامة ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد فى الانتساب إلى إبراهيم .

وبناء عليه لم يكن ثمة مناص من التفرقة بين أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل وأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

الأمر الثانى : أن كهان اليهود كانوا يحسون من العرب منافسة دينية ، فضلاً عن المنافسة الدنيوية ، فلو لم يكن للعرب حياة دينية يخشى الكهان

---

(١) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٣ .

منافستها ، لكان يكفيهم أن يحصروا وعد إبراهيم فى أبنائه المؤمنين دون أبنائه الوثنيين ، الذين لايعرفون الله الواحد الأحد ، فيخرج العرب بهذا الاستثناء من وراثة إبراهيم الروحية ولاتدعو الحاجة إلى أكثر من ذلك الاستثناء .

ولاشيء غير خطر المنافسة فى النسب ، وخطر المنافسة فى العقيدة الدينية ـ فيما يقول العقاد ـ يلجئ الكهان إلى حصر النعمة الموعودة فى أبناء إسحاق دون أبناء إبراهيم .

وقد لوحظ أن الكهان يحصرون النسب شيئاً فشيئا كلما أحسوا بخطر المنافسة على سلطانهم ، وسلطان هيكلهم على الخصوص ، فخصصوا أبناء يعقوب بعد أن كان الوعد عاماً شاملاً لأبناء إسحاق أجمعين ، وقالوا إن الإسرائيليين هم أبناء يعقوب ـ أى إسرائيل ـ دون غيره » [1] .

وهذا هو ماسنبينه فى النقطة التالية :

نزع البكورية واغتصاب البركة ليعقوب :

فقد ورد فى سفر التكوين أن يعقوب [2] عليه السلام سمى بذلك لأن أمه رفقة كانت عاقراً ، فصلى إسحاق لأجلها فحبلت ، فلما حان وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان ، فخرج الأول كث الشعر ، أحمر اللون ، فدعى اسمه « عيسو » وبعده خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب [3] .

ويصور السفر العلاقة بين هذين التوأمين تصويراً يعكس كل صفات اليهود

---

(١) انظر ذلك بالتفصيل فى كتابه : إبراهيم أبو الأنبياء صـ١١٥ - ١١٧ .

(٢) يعقوب : اسم عبرى معناه « يمسك العقب ، يحل محل » (قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٧٣)
وهو ثالث الآباء الأوائل لليهود ، بل إنهم ينتسبون إليه أكثر مما ينتسبون إلى جده الخليل إبراهيم عليهما السلام ، حيث إن كثيراً من الأمم تنسب إلى الخليل ، وأما يعقوب فقد سموا ببنى إسرائيل نسبة إليه .

(٣) راجع تكوين ٢٥ : ١٠ ـ ٢٦ .

من مكر واحتيال ، ويفسر سلوكياتهم الشاذة وأفكارهم السقيمة .

لقد صورت الصراع بينهما وهما لايزالان فى بطن أمهما :

« فتزاحم الولدان فى بطنها ، فمضت لتسأل الرب فقال لها الرب : فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » (١) .

ثم اكتمل التصوير بالتفريق بينهما فى توجهاتهما وفى معاملة أبويهما : فكبر الغلامان وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد ، إنسان البرية ، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام ، فأحب إسحاق عيسو لأن فى فمه صيداً وأما رفقة فكانت تحب يعقوب (٢) .

ولما كان عيسو قد ولد قبل يعقوب بلحظات اعتبر هو البكر ، وكان للبكورية امتيازات يمتاز بها البكر عن غيره من إخوته :

فقد اعتبر اليهود البكورية ميراثاً روحياً يجعل صاحبها يتمتع بامتيازات عظيمة ، وكان من أهم هذه الامتيازات إن لم يكن أهمها وأفضلها على الإطلاق : اعتبار أن يكون البكر مكرساً للرب ، وبذلك يكون حسب زعمهم ـ مستودع الأسرار الإلهية ، وناقلها إلى البشرية ، ومنها أيضا : حق وراثة مواعيد العهود التى قطعها الإله لإبراهيم (٣) .

ومن أجل ذلك تفتق ذهن اليهود عن طريقة يستولى بها يعقوب على البكورية حتى ينال تلك الامتيازات ، مثلما فعلوا مع إسماعيل حين نزعوا منه البكورية ونسبوها إلى إسحاق حتى يصدق عليه وصف الذبيح كما رأينا من قبل

---

(١) تكوين ٢٥ : ٢٢ - ٢٣ . (٢) تكوين ٢٥ : ٢٧ - ٢٨ .

(٣) ولما كانت البكورية أمراً ذا شأن واعتبار عند اليهود فإنهم كانوا يلقبون كل من كان كبير الأهمية بالبكر (راجع خروج ٢٢ : ٢٩ تثنية ٢١ : ١٧ قاموس الكتاب المقدس صـ ١٨٧ د / ماير : حياة يعقوب صـ ٢٤ .

فلم يجدوا لتحقيق هذا المطلب غير ما يتفق مع أهوائهم وطبائعهم .

جاء فى سفر التكوين أن عيسو عاد ذات مرة متعباً من الحقل فوجد يعقوب قد أعد طعاماً شهياً (العدس الأحمر) ، فطلب منه وألح عليه أن يطعمه لأنه شديد الجوع فاشترط عليه يعقوب ـ فيما يزعمون ـ أن يطعمه مقابل تنازله عن بكوريته فوافق عيسو على ذلك ، وتمت الصفقة وكما قال السفر :

« فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس ، فأكل وشرب وقام ومضى ، فاحتقر عيسو البكورية » (١) .

ومن الواضح أن القصة بهذه الصورة يلمح فيها أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من إرث إسحاق ، وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو إسرائيل يزعمونها لأنفسهم (٢) .

فعلى الرغم من أن السبق فى الولادة أمر لايجوز أن يكون موضع المساومة بيعاً أو شراء ، فإن العبرة المستمدة من هذه القصة هى تشجيع الوصولية والانتهازية حتى بين أقرب الأقربين واستغلال حاجة الغير إلى القليل لاغتصاب حقهم فى الكثير » (٣) .

ولذلك فقد كان لتسجيلها فى أسفارهم أثر عجيب فى سلوكياتهم إلى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت إلى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك وأن يصبح ذلك حقاً راسخا من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهراً بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بنى إسرائيل (٤) .

---

(١) راجع تكوين ٢٥ : ٢٧ ـ ٣٤ .

(٢) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم صـ ٥٢ .

(٣) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ٦٧ .

(٤) محمد عزة دروزة : المصدر السابق صـ٥٢ .

ويصف قاموس الكتاب المقدس يعقوب عليه السلام نتيجة ذلك ـ بأنه كان أنانياً إذ انتهز فرصة جوع أخيه عيسو فاشترى منه بكوريته (١) ، وإن كان د / ماير يعيب على عيسو بقوله:إنه كان شهوانياً مستبيحاً ورغم فقده البكورية فقد كان ذا حظ وفير (٢) .

وبعد أن اشترى يعقوب البكورية من عيسو ـ كما يزعمون ـ تفنن كتبة الأسفار في مباركة هذه البكورية من إسحاق نفسه فذكر سفر التكوين قصة غاية في الغرابة .

وتتلخص هذه القصة (٣) في أن إسحاق بعد أن تقدمت به السن وكلت عيناه عن النظر ، طلب من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده حتى يباركه ، وسمعت رفقة بذلك ، فانتهزت فرصة انصراف عيسو وأوعزت إلى يعقوب أن يعد طعاماً ويدخل به على أبيه منتحلاً شخصية أخيه عيسو وفعلاً ألبسته ملابس عيسو ودخل على أبيه وقدم له طعاماً وخمراً فأكل وشرب ، وكاد إسحاق أن يكتشف الخدعة إذ اشتبه في صوت يعقوب وقال له : « الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو » (٤) ولكن يعقوب أكد له أنه عيسو ، فباركه ، ثم اكتشف إسحاق المؤامرة بعد أن عاد عيسو وأدخل طعامه إليه ، فقد ارتعد إسحاق ارتعاداً عظيما جداً وقص على عيسو ما حدث فصرخ صرخة عظيمة ومرة وجداً (٥) وطلب من أبيه أن يباركه هو أيضا فقال إسحاق:« جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » (٦) ، فقال عيسو :«إن يعقوب قد تعقبني مرتين أخذ بكوريتي والآن قد أخذ بركتي » (٧) .

والعجيب أن إسحاق رفض أن يبارك عيسو بعد أن ألح عليه قائلا له :

---

(١) قاموس صـ ١٠٧٣ .   (٢) حياة يعقوب صـ ٢٢ .

(٣) القصة مذكورة في سفر التكوين ٢٧ : ١ ـ ٤٠ .

(٤) تك ٢٧ : ٢٢ .   (٥) تك : ٢٧ : ٣٣ ـ ٣٤ .

(٦) تك ٢٧ : ٣٥   (٧) تكوين ٢٧ : ٣٦ .

« ألك بركة واحدة فقط ، أما أبقيت لى بركة ، بل إنه دعا عليه » (١) .

وعلى الرغم مما فى هذه القصة ـ كما فى كثير غيرها من قصص التوراة ـ من سذاجة واضحة أخفت على كاتبيها أنه كان بوسع إسحاق سحب بركته ممن اغتصبها غدراً ومنحها لصاحب الحق فيها أو فى الأقل منحها للاثنين على قدم المساواة .

على الرغم من ذلك فإن حصول يعقوب على بركة لم يكن يستحقها ينطوى ضمناً فى هذا المقام على مكافأة الحيلة مهما تبلغ من الخسة والإقرار لصاحبها بحقه فى الحصول على مغانمها (٢) .

وقد علق W.D.Smith (سميث) على أحداث هذه القصة بقوله: ولانجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب ، فقد كان واضحا أنها غير عادلة ، وكان يسلك مختلف السبل ، وينتهز كل الفرص لينال حقوق أخيه كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجا حقيقيا لأخلاق اليهود ، وعلى هذا تعتبر تسميتهم باسمه ميراثا دقيقا ، فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن إبراهيم الذى كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل ختن ودنيا (٣) .

وإذا كان هذا هو سلوك الشخص الذى ينتسبون إليه مع أخيه التوأم فهل يمكن أن يكون هناك بعد ذلك شىء محرم فى سلوك ذلك الشعب (٤) .

ومهما يكن من أمر فإن فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز ملموحة بكل قوة بالقصة مما جعل مدونى السفر يسيغون تدوينها مع ما

(١) تك ٢٧ : ٣٨ - ٤٠ .

(٢) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى صـ٦٧ .

(٣) فى كتابه « الله والإنسان فى إسرائيل القديمة » باللغة الإنجليزية نقلا عن د / أحمد شلبى من كتاب « اليهودية » صـ ١٦٨ الطبعة الخامسة النهضة المصرية القاهرة .

(٤) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى صـ ٦٨ .

فيها من تلك الصور العجيبة التي تسجل شدة أنانية وخداع يعقوب ، والمتبادر أن هذا التسجيل من العوامل التي دفعت بني إسرائيل إلى الأثرة والأنانية والخداع مهما كانت الوسائل والأساليب (١) .

ولم يكن هذا التسجيل صعبا على كتاب التوراة بل ما أهون هذا عليهم ، فلكي [illegible]رى القصة في مجراها المرسوم جعلوا عيسو يتخلى عن بكوريته حتى فاز بها يعقوب وظفر أيضا ببركة أبيه ودعواته المستجابة وباء عيسو بالبؤس والمهانة وآلت حقوقه إلى أخيه (٢) .

ويدافع الدكتورماير عن يعقوب ويلقي بكل اللوم على أمه رفقة ويذكر أن يعقوب لم يكن شريرا بجملته ، ولكنه كان مع الأسف ضعيفا ، وأنه لم يفكر في تدبير هذه المكيدة ، وكان يفضل أن لا يقف هذا الموقف المخزي الذي بدا فيه كذوبا مخادعا ، لكنه لم يجد من الشجاعة ما يمكنه من معارضة أمه .

ولكن الدكتور ماير ينتهي إلى أن هذا التصرف أدى إلى سقوط يعقوب (٣) وكانت نتيجته وخيمة على بيت إسحاق ، فقد خدع الزوج ، وأسيء إلى الابن الأكبر ، ونفي الابن الأصغر (٤) وأسيء إلى سمعة تلك الأم التي لا شك في أنها لولا تصرفها الخاطئ لكللت بكرامة ومجد (٥) .

والحق أننا كمسلمين لا نصدق هذه التصرفات من يعقوب ، فلم يكن أمر نبوته يحتاج إلى سرقة واحتيال ، وإنما كان اصطفاء من الله ، وتحقيقا للبشرى

---

(١) دروزة : تاريخ بني إسرائيل صـ٥٤ ، أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة صـ ١٢٨ ، ١٢٩ الناشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٧ ، محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي مجلد ٢ صـ ٢٠٧ المطبعة العصرية صيدا لبنان ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .

(٢) عصام الدين حفني ناصف : محنة التوراة على أيدي اليهود الطبعة الأولى مطبعة الرسالة ١٣٨٥ / ١٩٦٥ صـ ٢٤ .

(٣) حياة يعقوب صـ ٤١ .

(٤) حيث أرسلته أمه إلى خاله لابان بعد أن خشيت عليه حقد عيسو وخاصة أنها سمعته وهو يعزم على قتله ، تكوين ٢٧ : ٤١ ـ ٤٥ .

(٥) [illegible] يعقوب صـ [illegible] ، راجع أيضا الأب ديلي : تاريخ شعب العهد القديم صـ ١١٤ ـ ١١٥ .

﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [1] ، ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ﴾ [2] .

ولا أجد من وجهة النظر الإسلامية تعليقا أصدق ولا تحليلا أدق ولا نقداً ألذع من تعقيب الإمام ابن حزم على قصة اغتصاب البركة المزعومة .

يقول ابن حزم: « وفى هذا فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات .

(**فأول**) ذلك إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبى مع أبيه نبى أيضا ، هذه سوآت مضاعفات .

(**وثانيه**) وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا ، ولعمرى إنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع الشاذ .

(**وثالثه**) وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش لله من هذا .

(**ورابعه**) وهى التى لايشك أحد فى إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقوب فأى منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل » .

وما أشبه هذه القضية إلا بحمق الغالية من الرافضة القائلين أن الله تعالى بعث جبريل إلى على فأخطأ وأتى إلى محمد [3] ، وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله ، فهذه

---

(1) هود : ٧١ . (٢) الأنعام : ٨٤ .

(٣) هذه الطائفة من غلاة الشيعة تسمى الغرابية وقد كان الغلاة متأثرين باليهودية فى كثير من عقائدهم وأفكارهم ، راجع غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام مطبعة غباشى بطنطا ١٩٨٨ م .

وجوه الخبث والغش فى هذه القضية .

وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا :

من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع :

أولها : قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك عيسو وبكرك فهاتان كذبتان فى نسق لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره .

وثالثها : قوله لابيه صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى فهاتان كذبتان فى نسق لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده وكذبات أخر وهى بطلان بركة إسحاق إذ قال له:تخدمك الأمم وتخضع الشعوب وتكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أمك ، وقوله لعيسو:« ولأخيك تستعبد » .

وهذه كذبات متواليات والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كان موالى إخوتهم ولا سجد لهم ولا له بنو أمه بل إن بنى إسرائيل خدموا الأمم فى كل بلدة وفى كل أمة وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها .

وأما قوله:تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أمك فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهاراً إذ فى توراتهم أن يعقوب سجد هو وجميع ولده حاشا من لم يكن خلق منهم بعد لأخيه عيسو مرارا كثيراً وما سجد عيسو قط ليعقوب قط [1] .

وهكذا فإننا كمسلمين ننزه سيدنا يعقوب عليه السلام من هذه التهمة تنزيهاً تاماً ونؤمن بأن هذه القصة من أولها إلي آخرها كاذبة لا أصل لها ودليلهم علي ذلك ما في القصة من معانٍ لاتدخل في عقول الأطفال المميزين فضلاً عن كبار

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل الجزأ الأول صـ١٣٧ - ١٤٠ نشر مكتبة الخانجى بمصر خمسة أجزاء فى مجلد واحد ، وقد نقلت عنه بشىء من الاختصار .

العقول ، لأن أمر النبوة ليس منوطاً بالأشخاص حتي يكون لأسحاق تلك الميزة التي يمنح بها الناس ما هو خاص بالله رب العالمين .

وهَبْ أن سيدنا إسحاق عليه السلام يملك الدعاء وأن دعاءه مستجاب عند الله تعالي ، فهل الله سبحانه العليم بقلوب عباده الذي لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء انطلت عليه حيلة رفقة وابنها يعقوب ولم يميز بين من يقصده إسحاق بالدعاء وبين ذلك الذي قد تظاهر أمامه بهذا المظهر .

يذكر الشيخ عبد الرحمن الجزيري أن الإله الذي يخدع إلي هذا الحد لايصلح أن يكون إلها ، ويرى أن واضع هذه القصة ظن أن الإله سبحانه كفرد من أفراد عباده الذين لا اطلاع لهم علي ما في القلوب ، وحيث إن إسحاق لم يبصر من هو الذي أمامه وخدع فيه فكذلك الإله جري علي منهج إسحاق في الجهل فأقر له طلبه .

وينتهي الشيخ إلي أن ذلك يعد دليلا قاطعا علي وضع هذه القصة وكذبها ، وأنه من المستحيل أن يكذب يعقوب ويخون لأن الله سبحانه لايقر عمل الخائنين في أشرف المراتب عنده وهي مرتبة النبوة (١) .

---

(١) راجع أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسحيين - فى الإسلام صـ ٤٣٨ الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

الملاحظة الخامسة :

من خلال الاطلاع على البشارات التى أوردناها آنفاً والتى سبقت مولد كل من إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، نجد أنها تنبئ بما يمكن أن يحدث للأخوين فى مستقبل حياتهما .

فيما يتعلق بإسماعيل نجد أن ملاك الرب ـ كما ورد فى سفر التكوين ـ قد بشر هاجر أثناء حملها بوليدها المنتظر :

« وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى وتلدين ابناً ، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك .... إلخ ما ورد فى الإصحاح السادس عشر [1] .

والذى يتأمل هذه البشرى يلاحظ أنها لم تذكر شيئا عن ذرية لإسماعيل فى المستقبل بل تكلمت عن نسل لهاجر ، وإخوة لإسماعيل ، ومادامت هاجر قد حملت من إبراهيم بوليدها البكر إسماعيل ، فإنها يمكن أن تحمل منه ذرية أخرى يتكاثر منها نسل هاجر .

ولايوجد فى تلك البشرى مايمنع حدوث مكروه لإسماعيل ـ مثل موته أو قتله قبل أن يكبر وتكون له ذرية .

فلو حدث بعد مولد إسماعيل أن جاء الوحى لإبراهيم يأمره بذبح ابنه هذا ما كان هناك تناقض بين ما أخبرت به السماء قبل مولد إسماعيل وبعد مولده ، وليس أمام إبراهيم آنذاك إلا الرضا بأمر الله والشروع فى تنفيذه دون تردد ، وذلك ماحدث فعلا من إبراهيم [2] .

---

(١) تكوين ١٦ : ١٠ ـ ١٣ .

(٢) راجع مهندس أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ٤٩ .

أما ما ورد في الإصحاح السابع عشر حينما قال الرب لإبراهيم « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » فإن ذلك قد قاله الرب ـ سبحانه ـ بعد أن بلغ إسماعيل ثلاث عشر سنة حيث قاله الرب أثناء البشارة،بإسحاق أى قبل مولده بعام ، فإن إسماعيل كما سبق أن بينا كان عمره أربعة عشر عاماً عند ولادة إسحاق .

معنى ذلك أن هذا الكلام قد قيل بعد أن فدى إسماعيل من الذبح ، حيث إن حادث الذبح قد وقع قبل ولادة إسحاق حتى ينطبق على الذبيح وصف الابن البكر الوحيد .

وأما فيما يتعلق بإسحاق نجد أن الأمر قد اختلف تماماً عن أخيه إسماعيل ، حيث إن البشرى التى تلقاها إبراهيم عليه السلام قبل مولد إسحاق بعام قد بشرته كذلك بذرية لإسحاق ينجبهم فيما بعد :

« فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » [1] .

فكيف إذن ينبئ وحى السماء إبراهيم عليه السلام بذرية لإسحاق قبل مولده ، ويقام معها عهد الله ، ثم يعود وحى السماء ليطلب من إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق ، وهو لايزال بعد صبياً لم يتزوج وينجب ذرية ، كما ورد فى البشارة .

ولو حدث ذلك الموقف لتشكك إبراهيم عليه السلام فى ذلك الذى يأتيه بخبر السماء ، لما يبدو فيه من التناقض الصارخ ، ولتردد إبراهيم فى التنفيذ ، خاصة وأن الأمر جد خطير ، إنه يتعلق بموت ابنه وحيده وكيف ؟ يموت قتلاً وذبحاً بيد والده إبراهيم .

(١) تكوين ١٧ : ١٩ .

حاش لله أن يتناقض وحى السماء ، إنما يأتى التناقض حين تتدخل شهوات الكهنة (1) وأهواء الكتبة ، الذين كتبوا التوراة فغيروا وبدلوا ووضعوا إسحاق بدلاً من إسماعيل .

فالبشارة بنسل لإسحاق مع ولادته ـ وهو ماصرح به فى القرآن الكريم حيث بشر إبراهيم وزوجته سارة بولادة إسحاق ـ ومن وراء إسحاق يعقوب دليل على أن إسحاق ليس هو الذبيح ، حيث يؤدى ذلك إلى التناقض ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق قبل أن ينجب يعقوب ؟ ؟ ! ! .

وقد حاول بولس فى رسالته إلى العبرانيين أن يجيب على هذا التساؤل ويحل هذه المشكلة فقال فى الإصحاح الحادى عشر :

« بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيده الذى قيل له إنه بإسحاق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا الذين منهم أخذه أيضا فى مثال » (2) .

يذكر الدكتور (ف . ب . ماير) أن الله سبحانه قد بين لإبراهيم أن إسحاق هو ابن الموعد « بإسحاق يدعى لك نسل » وأكد له تأكيداً لايقبل الشك ولايحتمل التأويل ، وأن هذا الصبى سيكون حلقة الاتصال بينه وبين نسله العديد الموعود .

والآن يطلب من الوالد أن يقدمه محرقة .

ويقول : « حقا كان هذا امتحانا شديداً لإيمانه ، فكيف يتسنى لله (أن يحترم كلمته) ـ هكذا بهذا التعبير !! ـ ويسمح بموت إسحاق ؟ .

هذا مالم يكن ممكناً أن يدركه العقل البشرى على الإطلاق ولو كان

---

(1) راجع تفصيل ذلك فى كتاب أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ٤٩ ـ ٥٠ .

(2) رسالة إلى العبرانيين ١١ : ١٧ ـ ١٩ .

إسـحـاق قد كـبر وصـار له ابن يحافظ علـى النسل فى الأجيـال القادمـة لزالت العقبة .

ولكن كـيف يتفق أن يمـوت إسحاق الذى لم يكـن له ابن بعد وأن يتـحقق الوعد الذى أعطى لإبراهيم الخـاص بإعطائه نسلاً ـ من إسحاق ـ كـرمل البحر وكنجوم السماء ؟ .

ويبادر الدكتـور ماير إلى الإجابة متأثراً بكلام بولس : « كـان الفكر الوحيد الذى ملأ قلـب إبراهيم على أى حال هو أن الله قـادر على الإقامـة من الأموات أيضا .

فقـد كان واثقاً أن الله لابد أن « يحتـرم كلمته » بأى حـال من الأحوال ولم يكن له أن يسائل أو يتحاجج ولكن كان عليه فقط أن يطيع [١] .

وجاء فى السنن القويم فى تفسير العهـد القديم عند تفسيره لما ورد فى سفر التكوين « فقال إبراهيم الله يـرى له الخروف للمحرقة يا ابنى » :

نعلم من الرسـالة إلى العبرانيـين (عـب ١١ : ١٧ ـ ١٩) أن إبراهيم عـزم كل العـزم على أن يقدم الذبيـحة لتيقنه أن الله يقـيم إسحـاق بعد موته ، ويـتمم وعده بإقامـة النسل منه ، فإن هبته إسحـاق له كانت خارقة للعـادة ، فلم يتزعزع إيمـان إبراهيم بهذا الامتحـان ، ولم يشك فى صدق الله وإنجـازه للوعـد مهـما كانت الأحوال ، فيكون قد قصد بالخروف إسحاق عينه [٢] .

وحل المشكلة على هذا الوجـه الذى قدمه بولس فى رسـالته إلى العبـرانيين وردده كثير من شـراح العهد القديم النصارى جديد فى المسيـحية ، لم ينظر إليه أحبار اليهود الذين اعتبروا أن التضحية قائمة على تسليم إبراهيم بموت إسحاق ،

---

(١) حياة إبراهيم صـ ١٥٠ .

(٢) السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ١ صـ١٥٩ .

وأنه أطاع الله ولم يطع قلبه ، ولم يحفل بحنانه على ابنه الموعود [(١)] .

بالإضافة إلى أن هذا الحل الذى ارتضاه فقهاء المسيحية ، يقلل كثيراً من قيمة تضحية إبراهيم ، وإذعانه لربه ، مادام أنه كان على يقين من أن الله سبحانه سوف يعيد الحياة إلى ولده بعد أن يقوم بذبحه بنفسه [(٢)] .

(١) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء صـ ٨٧ .

(٢) راجع الدكتور محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم : فى بلاد العرب صـ١٦٤ .

الفصل الثاني

قصة الذبيح عند المسلمين

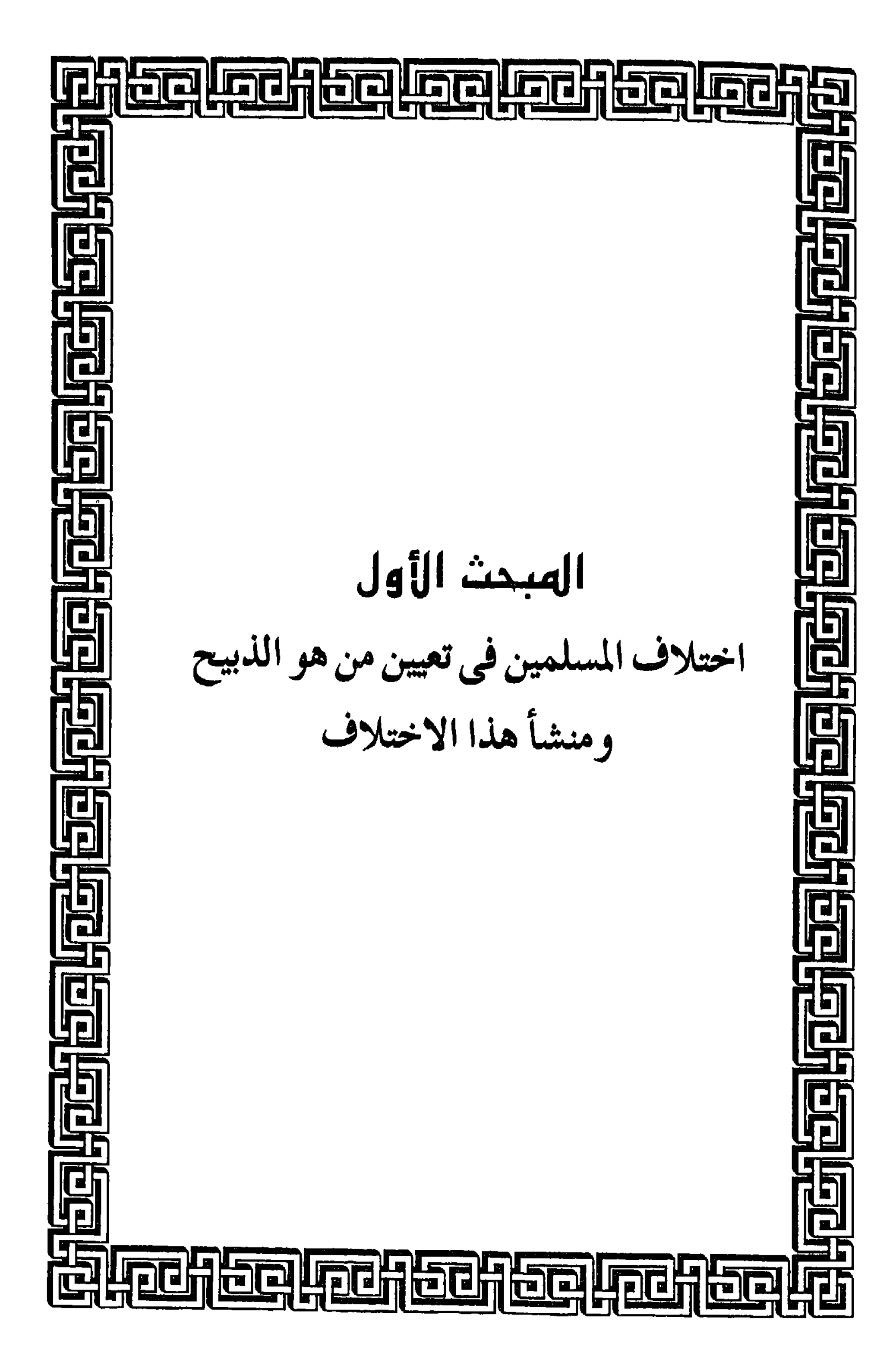
المبحث الأول : اختلاف المسلمين في تعيين من هو الذبيح ومنشأ هذا الاختلاف .

المبحث الثاني : قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق .

المبحث الرابع : حجج الفريق الثاني : القائلون بأن الذبيح إسماعيل .





المبحث الأول

اختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح
ومنشأ هذا الاختلاف



المبحث الأول

اختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح

ومنشأ هذا الاختلاف

إذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أجمعوا على أن الذبيح هو إسحاق ، وتبين لنا فساد قولهم وتناقضه من خلال نصوصهم فإن علماء المسلمين قد اختلفوا فى تعيين من هو الذبيح من ولدى الخليل إبراهيم أهو إسماعيل أم هو إسحاق عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم :

فذهب فريق منهم إلى أنه إسحاق معتمدين فى ذلك على بعض روايات مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرى موقوفة على عدد من الصحابة والتابعين .

وسوف يتبين لنا من خلال هذا البحث ، مدى قيمة هذه المرويات من حيث الصحة وعدمها من ضعف أو وضع ، ومن حيث إمكانية الاستدلال بها ، وجواز الاعتماد عليها .

وذهب فريق آخر وهم أكثرية العلماء ويمكن أن نطلق عليهم (جمهور العلماء) إلى أن الذبيح هو إسماعيل .

واعتمدوا فى ذلك أيضا على روايات بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض الآخر موقوف على كثير من الصحابة والتابعين .

وسوف نبين أيضا قيمة هذه المرويات ، ونقارن بينها ،بين مرويات الفريق الأول .

بالإضافة إلى أن كل فريق قد اعتمد على أدلة عقلية ، وحجج منطقية

مستنبطة من آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية وأحداث التاريخ ووقائعه وسوف نوازن بين أدلة وحجج الفريقين حتى يتبين لنا مدى قوة أدلة كل فريق ، وصمودها أمام النقد .

ثم يأتي دور الترجيح للرأى الذى نراه هو الرأى الصحيح الذى ينبغى تبنيه واعتماده فى هذه المسألة .

وهناك فريق ثالث تساوت لديه أدلة الفريقين ، ولم يترجح عنده شيء منها ، فتوقف فى هذه المسألة ، ولم يعين اسم الذبيح ، ومن هذا الفريق من رأى أن الذبح وقع مرتين : مرة فى الشام ومرة فى منى [١] .

ومنشأ اختلاف العلماء فى تعيين الذبيح راجع إلى عدم ورود نص صريح فى القرآن الكريم يثبت من خلاله اسم الذبيح ، وكذلك لايوجد حديث صحيح معتمد ومجمع عليه .

يقول الطبرى : « واختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم فى الذى أمر إبراهيم بذبحه ابنيه .

فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم .

وقال بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، ولو كان فيهما صحيح لم نعده إلى غيره » [٢] .

ويقول العلامة البغوى : واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى زمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق :

فقال قوم : هو إسحاق .

(١) يذكر الألوسى أن التوقف عنده خير من هذا القول ، راجع روح المعانى جـ٢٣ صـ ١٣٦ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ١ صـ٢٦٣ .

وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ، ومن التابعين أوتباعهم : كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة مسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى وهى رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال آخرون : هو إسماعيل .

وإليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب ، والشعبى ، والحسن البصرى ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والكلبى ، وهى رواية عطاء بن أبى رباح ، ويوسف ابن ماهك ، عن ابن عباس قال : المفدى إسماعيل .

وينتهى البغوى إلى أن كلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

ولذلك فإن الأستاذ المراغى يقرر أنه ليس فى هذه المسألة ـ مسألة الذبيح ـ دليل قاطع من سنة صحيحة ولا خبر متواتر ، بل روايات منقولة عن بعض أهل الكتاب ، وعن جماعة من الصحابة والتابعين ، ومن ثم حدث الخلاف فيها [2] .

لكن علماء كل فريق رجحوا القول الذى يرون أنه يوافق ظاهر القرآن الكريم ، ويتفق مع استنباطهم من آياته المباركة ، وكذلك القول الذى يرون أنه قد وردت به أحاديث أصح من غيره ، وأقوى فى النقل .

ولذلك وجدنا الطبرى يقول بعد أن أورد الكلام السابق ذكره « غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) معالم التنزيل جـ ٤ صـ ٣٢ راجع فى ذلك أيضا تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكرى صـ ٩٥ والكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ١ صـ ١٠٨ وتاريخ ابن خلدون جـ ١ صـ ٥٧ والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبى جـ ٣ صـ ٣٧٨ .

(٢) راجع تفسير المراغى جـ ٢٢ صـ ٧٦ .

قال : هو إسحاق « أوضح وأبين منه على صحة الأخرى » [١] .

هذا ما قاله فى تاريخه المشهور .

ويقول أيضا فى تفسيره المشهور: « وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو إسحاق » [٢] .

وأما القرطبى فإنه يقول: « واختلف العلماء فى المأمور بذبحه فقال أكثرهم : الذبيح إسحاق » .

وبعد أن يعدد أسماء الصحابة والتابعين الذين قالوا بهذا القول ، يذكر أنه هو الرأى الصحيح عنهم ، وأنه هو القول الأقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين [٣] .

ومن ناحية أخرى فإن الفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح هو إسماعيل يذهبون أيضا إلى أن هذا الرأى هو الذى يتفق مع نصوص القرآن الكريم ، ويعتمد على الأحاديث والآثار الثابتة لديهم .

فهذا هو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية حينما سئل عن الذبيح من ولد خليل الله إبراهيم عليه السلام هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ أجاب بعد حمد الله رب العالمين بأن هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء ، وكل منهما مذكور عن طائفة من السلف ، وأن النزاع فيها مشهور .

لكن الذى يجب القطع به أنه إسماعيل ، وهذا الذى عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة ، وهو الذى تدل عليه التوراة التى بأيدى أهل الكتاب » [٤] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٣ صـ٥٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٤ صـ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

ويقول أيضا في موضع آخر : « فإن الذبيح هو إسماعيل على أصح القولين للعلماء وقول أكثرهم كما دل عليه الكتاب والسنة » (١) .

وأما الحافظ ابن كثير فإنه يعلق على رأى القائلين بأنه إسحاق بقوله : « وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل (٢) .

ثم يذكر فى موضع آخر أن هذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل (٣) .

وفى موضع ثالث يقول : « وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل » (٤) .

ومن أبرز علماء الفريق الأول الذى يرى أصحابه أن الذبيح إسحاق الإمام أبو جعفر الطبرى ، والإمام القرطبى ، والقاضى عياض والحافظ السهيلى ، وسوف نشير إلى حججهم التى اعتمدوا عليها ، والمصادر التى تثبت تبنيهم لهذا القول ودفاعهم عنه (٥) .

ومن أبرز علماء الفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح هو إسماعيل : الإمام ابن تيمية ، الإمام ابن القيم ، الحافظ ابن كثير ، ومعهم جمهور كبير من علماء المسلمين ، القدامى منهم والمحدثين ، وسوف نبين أيضا مصادر أقوالهم ،

---

(١) الرد على المنطقيين صـ ٥١٧ .

(٢) قصص الأنبياء جـ ١ صـ ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٤ .

(٥) دافع كل من الطبرى والقرطبى والسهيلى عن وجهة نظرهم واستدلوا بأدلة سوف أعرض لها فى ثنايا الكتاب ، أما القاضى عياض فقد أشار إلى ذلك مجرد إشارة فى كتابه « الشفا » راجع جـ ١ صـ ١٣٠ .

والحجج التى استدلوا بها واعتمدوا عليها .

ومن أبرز علماء الفريق الثالث الذين توقفوا فى هذه المسألة ، ولم يحددوا من هو الذبيح من ولدى إبراهيم ، بل إن منهم من يرى أن البحث فى هذا الموضوع ليس به كبير فائدة : من أبرز هؤلاء العلماء الزجاج ، والجمل ، والسيوطى ، والشوكانى .

أما الزجاج : فقد ورد فى تفاسير الرازى والقرطبى والنيسابورى أن الزجاج قال : الله أعلم أيهما الذبيح وأن هذا مذهب ثالث (١) .

وأما العلامة الجمل (سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل) : فقد ذكر فى تفسيره أن الوقف عن الجزم بأحد القولين مذهب ثالث ، وأنه الأفضل حيث يتم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ، فإن هذه المسألة فى نظره ليست من العقائد التى كلفنا بمعرفتها فلا نسأل عنها فى يوم القيامة فهى مما ينفع علمه ولا يضر جهله (٢) .

أما الإمام السيوطى : فإنه ألف رسالة مستقلة فى هذا الموضوع سماها « القول الفصيح فى تعيين الذبيح » ذكر فيها بعد حمد الله تعالى بقوله : « وبعد فقد وردت إلىّ فتوى فى السيد إسحاق والسيد إسماعيل من الذبيح منهما والخلاف الوارد فيهما ما الأصح والراجح منه فأجبت :

الخلاف فى الذبيح معروف مشهور بين الصحابة فمن بعدهم ، ولكل من القولين حجج :

أما القول بأنه إسماعيل فهو قول على وابن عمر وأبى هريرة وأبى الطفيل ،

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ٢٦ صـ١٥٥ الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ١٠١ .
تفسير النيسابورى جـ٢٣ صـ٦٨ على هامش تفسير الطبرى .

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ٣ صـ٥٤٩ طبع ونشر عيسى البابلى الحلبى .

وسعيد بن جبير ، و مجاهد ، والشعبى ، ويوسف بن مهران ، والحسن البصرى ، ومحمد بن كعب القرظى ، وسعيد بن المسيب ، وأبى جعفر الباقر ، وأبى صالح والربيع بن أنس ، والكلبى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ورجحه جماعة خصوصاً غالب المحدثين ، وقال أبو حاتم : الصحيح أنه إسماعيل ، وقال البيضاوى إنه الأظهر ، وفى الهدى - يقصد زاد المعاد ـ أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وأن القول بأنه إسحاق مردود بأكثر من عشرين وجها [1] .

ثم أشار إلى الأحاديث التى ورد فيها أنه الذبيح ، وعلق عليها ، وعقب على ما فيها من ضعف وغيره ، وذكر أن هذا القول نسبه القرطبى للأكثرين وعزاه البغوى وغيره إلى عمر وعلى وابن مسعود وجابر والعباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبى وعبيد بن عمير وأبى ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن يزيد ومكحول وكعب وعثمان بن حاضر والسّدى والحسن وقتادة وأبى الهذيل وابن سابط ومسروق وعطاء ومقاتل .

وبيّن السيوطى أن هذا القول قال به أيضا ابن عباس فهو إحدى الروايتين عنه ، واختاره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى ، وجزم به القاضى عياض فى الشفا والسهيلى فى التعريف والإعلام .

وانتهى السيوطى إلى قوله « وكنت ملت إليه فى علم التفسير وأنا الآن متوقف فى ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم » [2] .

أما الإمام الشوكانى فإنه قد ذكر فى تفسيره أن أهل العلم قد اختلفوا فى الذبيح : هل هو إسحاق أو إسماعيل ، ونقل عن القرطبى وابن كثير وغيرهما

---

(١) القول الفصيح فى تعيين الذبيح صـ٣٤ ضمن كتاب الحاوى للفتاوى نشر السلام العالمية للطبع والنشر .

(٢) راجع المصدر السابق صـ ٣٦ ـ ٣٩ .

أقوال الفريقين والأدلة التي احتجوا بها ، والروايات التي اعتمدوا عليها [1] .

وانتهى الشوكانى بعد كل هذا أنه لم يكن فى المقام مايوجب القطع أو يتعين رجحانه تعيناً ظاهراً ، وأن كل قول قد رجحه طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحاق ، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض روايات ، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل ، وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح .

ويرى الشوكانى أن الأمر ليس كما ذكر ابن كثير ، فإن أدلته إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها ، وأنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك شيء ، وأن ماروى عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جداً ، ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن ، وهى محتملة ، ولاتقوم حجة بمحتمل .

وبناء على ذلك فإن الوقف فى رأى الشوكانى هو الذى لاينبغى مجاوزته ، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ، ومن الاستدلال بما هو محتمل [2] .

وإذل تركنا هذا الفريق الثالث بتوقفه فى هذه المسألة ، فإننا ننتقل إلى الفريقين : الأول ، والثانى ، لنرى حجج كل فريق ونقوم بعرضها ونقدها .

وقبل أن يحدث ذلك ينبغى أولاً أن أعرض لقصة الذبيح كما وردت فى القرآن الكريم دون أن يكون فيها تصريح باسم الذبيح حتى يتبين لنا منشأ اختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح .

---

(١) راجع المجلد الرابع من « فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير صـ٤٠٣ - ٤٠٧ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) المصدر السابق صـ٤٠٧ - ٤٠٨ .

المبحث الثانى

قصة الذبيح كما وردت فى القرآن الكريم

المبحث الثاني

قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم

وردت قصة الأمر من الله العليم الخبير إلى الخليل إبراهيم عليه السلام بذبح ولده في عدد من آيات الله المباركة من سورة « الصافات » يقول تعالى عن سيدنا إبراهيم : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [1] .

فقد جاءت قصة إبراهيم فى هذه السورة فى حلقتين رئيسيتين :

حلقة دعوته لقومه وتحطيم الأصنام وهمهم به ليقتلوه ، وحماية الله له وخذلان شانئيه ، وهى حلقة تكررت فى أكثر من مرة من قبل فى سور القرآن .

وحلقة جديدة لاتعرض فى غير هذه السورة وهى الخاصة بحادث الرؤيا والذبح والفداء ، مفصلة المراحل والخطوات والمواقف فى أسلوبها الآخاذ وأدائها الرهيب ! ممثلة فى أعلى صور القناعة والتضحية والفداء والتسليم فى عالم العقيدة فى تاريخ البشرية الطويل .

وتبدأ الحلقة الثانية هذه حينما انتهى أمر إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه ، بعد أن أرادوا به الهلاك فى النار التى أسموها « الجحيم » وأراد الله أن يكونوا

---

(١) الصافات : ٩٩ ـ ١١١ .

هم الأسفلين ونجاه من كيدهم أجمعين ، عندئذ استدبر إبراهيم مرحلة من حياته ليستقبل مرحلة أخرى جديدة وطوى صفحة ماضية لينشر صفحة حاضرة يقول تعالى : ﴿ **قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم * فأراوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين * وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ (1) .

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله تعالى يقول مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ (2) .

وقد أراد الخليل عليه السلام بذهابه إلى ربه : مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال : ﴿ **إنى مهاجر إلى ربى** ﴾ وكأن المراد إظهار اليأس من إيمانهم وكراهة البقاء معهم أى إنى مفارقكم ومهاجر إلى ربى .

وبذلك فإن المراد من قوله : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى** ﴾ مفارقة تلك الديار على معنى إنى ذاهب إلى مواضع دين ربى وليس على ما قال الكلبى : ذاهب بعبادتى إلى ربى لأن المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام (3) .

وقوله ﴿ **سيهدين** ﴾ أى سيرشدنى إلى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى إلى مقصدى كما قال موسى عليه السلام : ﴿ **كلا إن معى ربى سيهدين** ﴾ .

وعبَّر بالسين ليؤكد وقوع الهداية ، وبتَّ القول فى ذلك لسبق وعده تعالى

---

(1) الصافات : ٩٧ ـ ١٠٠ .

(2) راجع تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٤ ، فى ظلال القرآن جـ ٢٣ صـ ٢٩٩١ ـ ٢٩٩٢ .

(3) راجع الكشاف للزمخشرى جـ ٣ صـ ٣٤٧ تفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٠ ـ ١٥١ ، روح المعانى للألوسى جـ ٢٣ صـ ١٢٦ .

إياه بالهداية لما أمره سبحانه بالذهاب فأجرى كلامه على سنن موعد ربه ، أو بناه على عادة الله تعالى معه فى هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله [1] .

ومن الغريب ما قيل ونحا إليه قتادة أنه لم يكن مراد إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ الهجرة وإنما أراد بذلك لقاء الله تعالى بعد الإحراق ظانا أنه يموت فى النار إذا ألقى فيها وأراد بقوله : ﴿ **سيهدين** ﴾ الهداية إلى الجنة .

ويدفع هذا القول دعاؤه بالولد حيث قال : ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ [2] .

فقد كان الخليل عليه السلام حينما عزم على الهجرة لايزال وحيداً لم ينجب ولا عقب له ، فطلب من الله سبحانه أن يعوضه عن أبيه وقومه فى أولاد له من صلبه وذرية من نسله .

يذكر المفسرون أنه صلوات الله عليه لما هاجر إلى الأرض المقدسة أراد الولد فقال : ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ أى هب لى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يريد بذلك الولد أى ولداً من الصالحين وحذف لدلالة الهبة عليه فإنها فى القرآن وكلام العرب غلب استعمالها مع العقلاء فى الأولاد [3] .

---

(١) راجع الزمخشرى فى الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٧ والرازى فى مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥١ والألوسى فى روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٧ وبذلك فإن الصلاح يعد أفضل الصفات بدليل أن الخليل عليه السلام طلبه لنفسه فقال : ﴿ **رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين** ﴾ وطلبه هنا لولده وكذلك طلبه يوسف وسلمان عليهما السلام فدل على أن الصلاح أشرف المقامات (راجع الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥١) .

(٣) أما قوله تعالى : ﴿ **ووهبنا له أخاه هارون نبيا** ﴾ فإنها أطلقت على الأخ من غير الغالب أو أن المراد فيه هبة نبوته لا هبة ذاته وهو شىء آخر .

ويدل على ذلك قوله تعالى عن إبراهيم أيضا ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ (١) وعن زكريا ﴿ **ووهبنا له يحيى** ﴾ (٢) .

ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى عقب هذا الدعاء : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فإنه ظاهر فى أن ما بشر به عين ما استوهبه مع أن مثله إنما يقال عرفا فى حق الأولاد (٣) .

فقد استجاب الله دعاءه وبشره بهذا القول الذى جمع ثلاث بشارات :

البشارة الأولى : أن هذا الولد ذكر لاختصاص لفظ الغلام به .

البشارة الثانية : أن هذا الغلام يبلغ أوان الحلم والبلوغ بالسن المعروف فإنه لازم لوصفه بالحليم حيث إن الحلم لازم لذلك السن بحسب العادة إذ قلما يوجد فى الصبيان سعة صدر وحسن صبر وإغضاء فى كل أمر .

البشارة الثالثة : أن هذا الغلام سيكون حليما ، وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض أبوه عليه وهو مراهق الذبح فقال : ﴿ **ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ ثم استسلم لذلك فما ظنك به بعد بلوغه .

وقيل : ما نعت الله نبياً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام ، وحالهما المذكورة فيما بعد تدل على ما ذكره فيهما ، فقد نعت الله به إبراهيم فى قوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ (٥) .

ومن ذلك يتبين أن إبراهيم إذا كان موصوفاً بالحلم فإن ولده أيضا موصوف بالحلم وأنه قائم مقامه فى صفات الشرف والفضيلة (٦) .

---

(١) الأنبياء : ٧٢ . (٢) الأنبياء : ٩٠ .

(٣) راجع الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٧ تفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥١ روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٧ .

(٤) هود : ٧٥ . (٥) التوبة : ١١٤ .

(٦) راجع الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٧ وتفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥١ وروح المعانى جـ٢٣ صـ١٢٧ .

﴿ فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ .

يذكر الرازى أنه سبحانه وتعالى بعد أن قال : **﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾** أتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال :

﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذى يقدر فيه على السعى (١) .

ويقول ابن كثير : « **﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾** أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر فى أمرهما » (٢) .

وقوله : **﴿ معه ﴾** فى موضع الحال والتقدير : كائنا معه .

والفائدة فى اعتبار هذا المعنى أن الأب أرفق الناس بالولد وأكملهم فى الرفق به وبالاستصلاح له وأعطفهم عليه فلا يستسعيه قبل أوانه لأن غيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده .

والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى لما وعده فى الآية الأولى بكون ذلك الغلام حليما ، بيّن فى هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لأنه كان به فى غضاضة عوده من رصانة العقل ورزانة الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة والإتيان بذلك الجواب الحسن والحكيم (٣) .

---

(١) تفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٢ راجع أيضا الكشاف صـ٣٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١١٤ ويشير ابن كثير بهذا القول إلى أن الخليل عليه السلام كان يترك بلاد الشام ويرحل إلى مكة حيث ترك ابنه إسماعيل وأمه هاجر وحدهما هناك كما سنبين ذلك فيما بعد .

(٣) راجع تفسير الزمخشرى جـ ٣ صـ ٣٤٧ ، وتفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٢ ، وروح المعانى للألوسى جـ ٢٣ صـ ١٢٨ .

وكان للغلام يومئذ ثلاث عشر سنة [1] والولد أحب ما يكون عند أبيه فى سن يقدر فيه على إعانة الأب وقضاء حاجته ولا يقدر فيه على العصيان [2] .

فحينما قال له أبوه : ﴿ **يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ [3] .

وفى تفسير قوله تعالى :﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ روى أنه عليه السلام رأى ليلة التروية فى منامه كأن قائلاً يقول له : إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا ، فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح إلى الرواح : أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فمن ثم سمى يوم التروية ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهمّ بنحره فسمى يوم النحر [4] .

وهذا ـ كما يقول الرازى ـ هو قول أهل التفسير وهو يدل على أنه رأى فى المنام ما يوجب أن يذبح ابنه فى اليقظة ، وعلى هذا فتقدير اللفظ : إنى أرى فى المنام ما يوجب أن أذبحك [5] .

ويذكر الألوسى أنه يحتمل أنه عليه السلام رأى فى منامه أنه فعل ذبحه فحمله على ما هو الأغلب فى رؤيا الأنبياء عليهم السلام من وقوعها بعينها ،

---

(١) من خلال تعبير القرآن الكريم أن حادث الأمر بالذبح وقع حينما بلغ الغلام مع أبيه السعى بمعنى أنه كان قادراً على السعى والعمل مع أبيه وعقب قصة الذبيح يقول تعالى : ﴿ **وبشرناه بإسحاق** ﴾ مما يعنى أن البشارة بإسحاق كانت مكافأة له على طاعته لربه وسرعة استجابته لأمره ، وهذا يعنى أن حادث الأمر بالذبح قد تم قبل مولد إسحاق بعام لأن البشارة به قد سبقت مولده بعام كامل كما فى التوراة ، وكذلك ورد فى التوراة كما سبق أن المأمور بذبحه كان وحيد إبراهيم وتذكر التوراة أن إبراهيم كان عمرة ٩٩ عاماً حينما بشر بإسحاق وأنه أنجب إسماعيل حينما كان عمره ٨٦ عاماً وبذلك يكون كلام المفسرين أن الذبيح كان سنه ثلاث عشرة سنة كلام صحيح .

(٢) راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٨ .

(٣) الصافات : ١٠٢ .

(٤) راجع تفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٣ روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٨ الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٨ .

(٥) التفسير الكبير جـ ٢٦ صـ ١٥٣ راجع أيضا زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى جـ٧ صـ٧٢

ويحتمل أنه رأى ما تأويله ذلك لكن لم يذكره وذكر التأويل كما يقول الزمخشرى : أتى فى المنام فقيل له : اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال : ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة : رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة (١) .

وقيل : إنه رأى معالجة الذبح ولم ير إنهار الدم فأنى أذبحك يعنى أنى أعالج ذبحك (٢) .

ويذكر الرازى أنه رأى فى المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء عليهم السلام من باب الوحى ، وعلى هذا القول فالمرئى فى المنام ليس إلا أنه يذبح (٣) .

وقيل : إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال : هو إذن لله ذبيح فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له : أوف بنذرك ولعل هذا القول ـ لو صحّ ـ كان فى المنام وإلا فما يصنع بقوله : ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ (٤) .

وفى كلام التوراة التى بأيدى اليهود ـ واطلعنا عليه من قبل ـ ما يرمز إلى أن الأمر بالذبح كان ليلاً فإنه بعد أن ذكر قول الله تعالى له عليه السلام « خذ ابنك وامض إلى بلد العبادة وأصعده ثَمّ قربانا على أحد الجبال الذى أعرفك به قيل : فأدلج إبراهيم بالغداة إلخ » .

فالأمر إما مناماً أو يقظة لكن وقع تأكيداً لما فى المنام إذ لامحيص عن الإيمان بما قصه الله تعالى علينا فيما أعجز به الثقلين من القرآن ، والحزم الجزم بكونه فى المنام لاغيرإذ لايعول على ما فى أيدى اليهود وليس فى الأخبار الصحيحة ما يدل

---

(١) الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٠ ـ ٣٤٨ ، روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٨ .
(٢) روح المعانى نفس الصفحة .
(٣) مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٣ .
(٤) روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٨ .

على وقوعه يقظة أيضا [١] .

يقول محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحى من الله تعالى أيقاظاً ورقوداً فإن الأنبياء لاتنام قلوبهم وهذا ثابت فى الخبر المرفوع قال ﷺ : « إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا » [٢] ، وقال ابن عباس : « رؤيا الأنبياء وحى » واستدل بهذه الآية [٣] .

وبيان الحكمة فى ورود هذا التكليف فى النوم لا فى اليقظة من وجوه :

الأول : إن هذا الابتلاء إنما برز فى صورة الوحى المنامى إكراماً لإبراهيم الخليل عليه السلام بدلاً من أن يزعج بالأمر بذبح ولده بوحى فى اليقظة لأن رؤى المنام يعقبها تعبيرها إذ قد تكون مشتملة على رموز خفية ، وفى ذلك تأنيس لنفسه لتلقى هذا التكليف الشاق عليه وهو ذبح ابنه الوحيد .

وحول ذلك يقول الإمام الرازى « إن هذا التكليف كان فى نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد أولاً فى النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا لتكليف الشاق ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة فحينئذ لايهجم هذا التكليف دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً » [٤] .

الثانى : أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد وتمام الإخلاص [٥] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حديث « إن عينى تنامان ولاينام قلبى » متفق عليه حيث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها (البخارى ٤ / ١٥٢ ومسلم ١ / ٥٠٩ راجع الشفاء للقاضى عياض جـ ٢ صـ ٦٩٣ ومناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا للسيوطى جـ ٥٤ ونسيم الرياض للشهاب الخفاجى جـ ٣ صـ ٥٤٥) .

(٣) تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ ١٠٢ .

(٤) راجع مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٦ ، راجع أيضا الطاهر بن عاشور فى تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٣ صـ ١٥٠ ــ ١٥١ .

(٥) راجع تفسير البيضاوى جـ ٢ صـ ٢٩٧ روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٩ .

الثالث : أن الله تعالى جعل رؤيا الأنبياء عليهم السلام حقا : فكما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له فى المنام من غير وحى إلى أبيه فقال تعالى على لسان يوسف:﴿ **إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ [(١)] وكما وعد رسوله ﷺ دخول المسجد الحرام فى المنام فقال تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** ﴾ [(٢)] فإنه قال على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ .

والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين ، لأن الحال إما حال يقظة وإما حال منام ، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق ، كان ذلك هو النهاية فى بيان كونهم محقين صادقين فى كل الأحوال [(٣)] .

يذكر الرازى أن مقامات الأنبياء عليهم السلام على ثلاثة أقسام : منها ما يقع على وفق الرؤيا كما فى قوله تعالى : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام** ﴾ ثم وقع ذلك الشىء بعينه .

ومنها ما يقع على الضد كما فى حق إبراهيم عليه السلام حين رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة .

ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة كما فى رؤيا يوسف عليه السلام ، فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن المنامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة [(٤)] .

وإذا كان قد ثبت أن الخليل عليه السلام قد تأكد أن ما رآه فى المنام هو وحى ، وأن الأمر بذبح ابنه حق فلم راجع ولده فى هذا الأمر وقال له : ﴿ **فانظر**

---

(١) يوسف : ٤ .　　(٢) الفتح : ٢٧ .

(٣) راجع الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٨ مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٦ .

(٤) راجع التفسير الكبير جـ ٢٦ صـ ١٥٧ .

ماذا ترى ﴾ .

وفى ذلك يقول الزمخشرى : « فإن قلت : لم شاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ قلت : لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم ، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ، ولأن المغافصة بالذبح ما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة [1] .

ويذكر ابن كثير أن الخليل أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه فى صغره فى طاعة الله تعالى وطاعة أبيه [2] .

كذلك فإن قول الخليل عليه السلام لابنه: ﴿ **فانظر ماذا ترى** ﴾ إنما يبين أنه لم يقدم على تحقيق أمر ربه فى انزعاج ، ولم يستسلم فى جزع ، ولم يطع فى اضطراب ، وإنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء ، حيث عرض على ابنه هذا الأمر الهائل فى هدوء وفى اطمئنان عجيب ، فلم يأخذ ابنه على غرة لينفذ أمر ربه وينتهى إنما يعرض عليه الأمر ، ويطلب إليه أن يتروى فى أمره وأن يرى فيه رأيه ! .

وذلك لأن الأمر لما تعلق بذات الغلام كان للغلام حظ فى الامتثال وكان عرض إبراهيم هذا على ابنه عرض اختبار لمقدار طواعيته بإجابة أمر الله فى ذاته لتحصل له بالرضى والامتثال مرتبة بذل نفسه فى إرضاء الله ، وهو لا يرجو من ابنه إلا القبول لأنه أعلم بصلاح ابنه [3] .

وقد كان ابنه حقا عند حسن ظنه فقد تلقى الأمر فى طاعة تامة ورضى

(١) راجع الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٨ ومفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٧ وروح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٩

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٥ .

(٣) راجع فى ظلال القرآن جـ ٢٣ صـ ٢٩٩٥ .

كامل واستسلام بيقين حيث قال : ﴿ **يا أبت افعل ما تؤمر** ﴾ أى امض لما أمرك الله من ذبحى ﴿ **ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ أى سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل ، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ، حين أمكن أباه من رقبته .

فبعد أن حثه على فعل ما أمر به وعده بالامتثال له وبأنه لايجزع ولا يهلع بل يكون صابراً ، وفى ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من الحزن لكونه يعامل ولده بما يكره [١] .

ولما كان خطاب الأب ﴿ **يابنى** ﴾ على سبيل الترحم ، قال هو : ﴿ **ياأبت** ﴾ على سبيل التوقير والتعظيم ، ومع ذلك أتى بجواب حكيم لأنه فوض الأمر حيث استشاره فأجاب بأنه ليس مجازها وإنما الواجب إمضاء الأمر [٢] .

وقد علق صبره بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن ، وأنه لاحول عن معصيته إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله [٣] .

ويرى الألوسى أن قوله: ﴿ **ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ دون قول موسى عليه السلام: ﴿ **ستجدنى إن شاء الله صابراً** ﴾ فيه من التواضع ما فيه ، وفيه أيضا إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفقته عليه مع عظم البلاء حيث أشار إلى أن لله تعالى عباداً صابرين [٤] واعتبرها الألوسى زهرة ربيع لاتتحمل الفرك .

﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ فلما اعتقد الوجوب ، وتهيأ للعمل ، هذا بصورة الذابح ، وهذا بصورة المذبوح ، فاستسلما وانقادا ، امتثل إبراهيم لأمر

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٥ ، راجع تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٣ صـ ١٥٢ .
(٢) راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٩ .
(٣) مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٧ .
(٤) راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٢٩ ـ ١٣٠ .

الله تعالى ، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه ﴿ **وتله للجبين** ﴾ أى صرعه وأكبه على وجهه ليذبحه من قفاه ولايشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه [1] .

﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ [2] .

قال المفسرون : لما أضجعه للذبح نودى من خلفه : يا إبراهيم : قد صدقت الرؤيا فقد ورد عن ابن عباس أن الخليل إبراهيم لما تله للجبين كان عليه قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه:﴿ **أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ أى قد حصل المقصود من رؤياك وإضجاعك ولدك للذبح [3] .

قال المحققون : السبب فى هذا التكليف كمال طاعة إبراهيم لتكاليف الله تعالى ، فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال : قد صدقت الرؤيا يعنى حصل المقصود من تلك الرؤيا [4] .

فقد قال له تعالى ذلك حين تيسرا للعمل وأقبلا على الفعل ، فكان صدقها ذبحاً مكانها ، وهو الفداء ، وكان ذلك أمراً فى المعنى ضرورة ، فكان ما كان من إبراهيم امتثالاً ، ومن إسماعيل انقياداً ، ووضحت المعانى بحقيقتها ، وجرت الألفاظ على نصابها لصوابها ، ولم يحتج إلى تأويل فاسد بقلب الجلد نحاساً أو غيره [5] .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٥ ، ابن العربى : أحكام القرآن جـ ٤ صـ ١٦١٨ - ١٦١٩ .

(٢) الصافات : ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) راجع تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٥ - ١٦ .

(٤) مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٧ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربى جـ ٤ صـ ١٦١٨ - ١٦١٩ .

حيث ذكر بعضهم أنه وجد حلقه نحاساً أو مغشى بنحاس فكان كلما أراد قطعا وجد منعاً ، وقال بعضهم كان كلما قطع جزءاً التئم .

وروى عن مجاهد أن الذبيح قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه : ياأبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مرّ السكين على حلقي ليكون الموت أهون عليّ ، وكبني على وجهي لئلا تنظر إليّ فترحمني ولئلا انظر إلى الشفرة فأجزع وإذا أتيت إلى أمي فأقرئها مني السلام فلما جرّ إبراهيم عليه السلام السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئاً ، ثم ضرب على جبينه وحزّ في قفاه فلم تعمل السكين شيئاً [1] .

وهذا كله ـ كما يقول ابن العربي وذكره أيضاً القرطبي ـ جائز في القدرة الإلهية ، ولكن يفتقر إلى نقل صحيح ، فإنه لايدرك بالنظر وإنما طريقه الخبر ، وكأن الذبح والتئام الأجزاء بعد ذلك أوقع في مطلوبهم من وضع النحاس موضع الجلد واللحم ، وكله أمر بعيد عن العلم ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما ، وكان أولى بالبيان من الفداء [2] .

ويذكر الألوسي أن كثيراً من أجلة العلماء ذهبوا إلى عدم إمرار الشفرة على حلق الذبيح .

فقد روى الإمام أحمد عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما أخذ الشفرة وأراد أن يذبح إسماعيل نودي من خلفه أن يا إبراهيم : قد صدقت الرؤيا [3] .

وجاء في الدر المنثور : أخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني

---

(١) راجع المصدر السابق جـ ٤ صـ ١٦١٨ والجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ صـ ١٠٢ : ١٠٤ تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٦ التفسير الكبير جـ ٢٦ صـ ١٥٨ تفسير الألوسي جـ ٢٣ صـ ١٣٠ .

(٢) أحكام القرآن جـ ٤ صـ ١٦١٨ تفسير القرطبي جـ ١٥ صـ ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٣) راجع روح المعاني جـ ٢٣ صـ ١٣٠ الدر المنثور جـ ٢٣ صـ ١٠٤ .

وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان عن إبراهيم الخليل أنه عالج قميص ابنه ليخلعه فنودى بذلك (١) .

وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخليل لما أدخل يده ليذبح ابنه فلم تصل المدية حتى نودى ﴿ **أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ .

فأمسك يده فذلك قوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ (٢) .

أما ماورد من إمرار الشفرة وانقلاب السكين والتئام الأجزاء إلى غير ذلك فإنه لم يصح كما صرح القرطبى (٣) ، وقال الألوسى :

إن البعض زعم ورود ذلك فى بعض الأخبار لكنه لايكاد يصح (٤) .

فقوله تعالى : ﴿ **قد صدقت الرؤيا** ﴾ معناه إذن : حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك (٥) .

ويذكر الألوسى أن تصديقه عليه السلام الرؤيا يعنى توفيته حقها من العمل وبذل وسعه فى إيقاعها ، وذلك بالعزم والإتيان بالمقدمات ولايلزم فيه وقوع ما رآه بعينه (٦) .

﴿ **إنا كذلك نجزى المحسنين** ﴾ أى هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا** ﴾ (٧) .

هذا وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة

---

(١) الدر المنثور للسيوطى جـ ٢٣ صـ ١٠٥ .

(٢) الدر المنثور جـ ٢٣ صـ ١٠٤ راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ صـ ١٠٤ .

(٤) روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣١ .

(٥) تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ ١٠٢ .

(٦) روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٠ .

(٧) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٦ .

النسخ قبل التمكن من الفعل خلافاً للمعتزلة [1] .

والدلالة من هذه ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ أى الاختبار الواضح الجلى الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة أى الظاهرة صعوبتها وما وقع لاشيء أصعب منه ولا تكاد تخفى صعوبته على أحد ، حيث أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ـ ولله عز وجل أن يبتلى من يشاء بما شاء وهو سبحانه الحكيم الفعال لما يريد ـ فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى : ﴿ **وإبراهيم الذى وفّى** ﴾ [2] .

معنى ذلك أن أمر الله تعالى لإبراهيم بذبح ولده كان أمر ابتلاء وليس المقصود به التشريع إذ لو كان تشريعاً لما نسخ قبل العمل به لأن ذلك يفيت الحكمة من التشريع بخلاف أمر الابتلاء .

والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه ، وإثبات علو مرتبته فى طاعة ربه ، فإن الولد عزيز على نفس الوالد ، والولد الوحيد الذى هو أمل الوالد فى مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة .

فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده ، أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ، ويخيب أمله ، ويزول أنسه ، ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه ، وذلك أعظم الابتلاء فقابل أمر ربه بالامتثال ، وحصلت حكمة الله من ابتلائه ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ [3] .

---

(١) لقد بحثت هذه النقطة بحثاً مستفيضا فى كتابى « القرابين البشرية والذبائح التلمودية صـ ١٢٥ ـ ١٤٠ .

(٢) راجع تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٦ تفسير الكشاف جـ ٣ صـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، التفسير الكبير للرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٨ روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣١ .

(٣) راجع تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور جـ ٢٣ صـ ٥٠ .

﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال على رضى الله عنه : بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة فى أصل ثبير .

وقد اختلف فى ذلك الكبش فقيل : إنه الكبش الذى تقرب به هابيل بن آدم إلى الله تعالى فقبله منه ، وظل فى الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به ابن إبراهيم .

وقال آخرون : أرسل الله كبشاً من الجنة قد رعى أربعين خريفاً [١] .

وعلى أى الأحوال فإن الفداء قد تم ، ونجح الخليل إبراهيم فى الاختبار ، ونجا من هذا البلاء المبين ، وأعلن الله سبحانه ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ والفادى على الحقيقة إبراهيم عليه السلام ولكنه سبحانه قال : ﴿ **وفديناه** ﴾ على التجوز فى الفداء : أى أمرنا أو أعطينا أو فى إسناده إليه تعالى ، وجوز أن يكون هناك استعارة مكنية أيضا ، وفائدة العدول عن الأصل التعظيم » [٢] .

وأما قوله: ﴿ **عظيم** ﴾ فى وصف هذا الذبح المفدى به فقيل سمى بذلك لعظمه وسمنه حيث وصف بأنه عظيم الجثة سمين .

وقال سعيد بن جبير : حق له أن يكون عظيماً وقد رعى فى الجنة أربعين خريفاً .

وقيل: سمى عظيماً لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد إبراهيم عليهما السلام .

وقال الحسن بن الفضل : لأنه كان من عند الله عز وجل [٣] .

وكفى به عظمة أن يكون من عند الله سبحانه وأن يصفه الله بأنه ذبح عظيم .

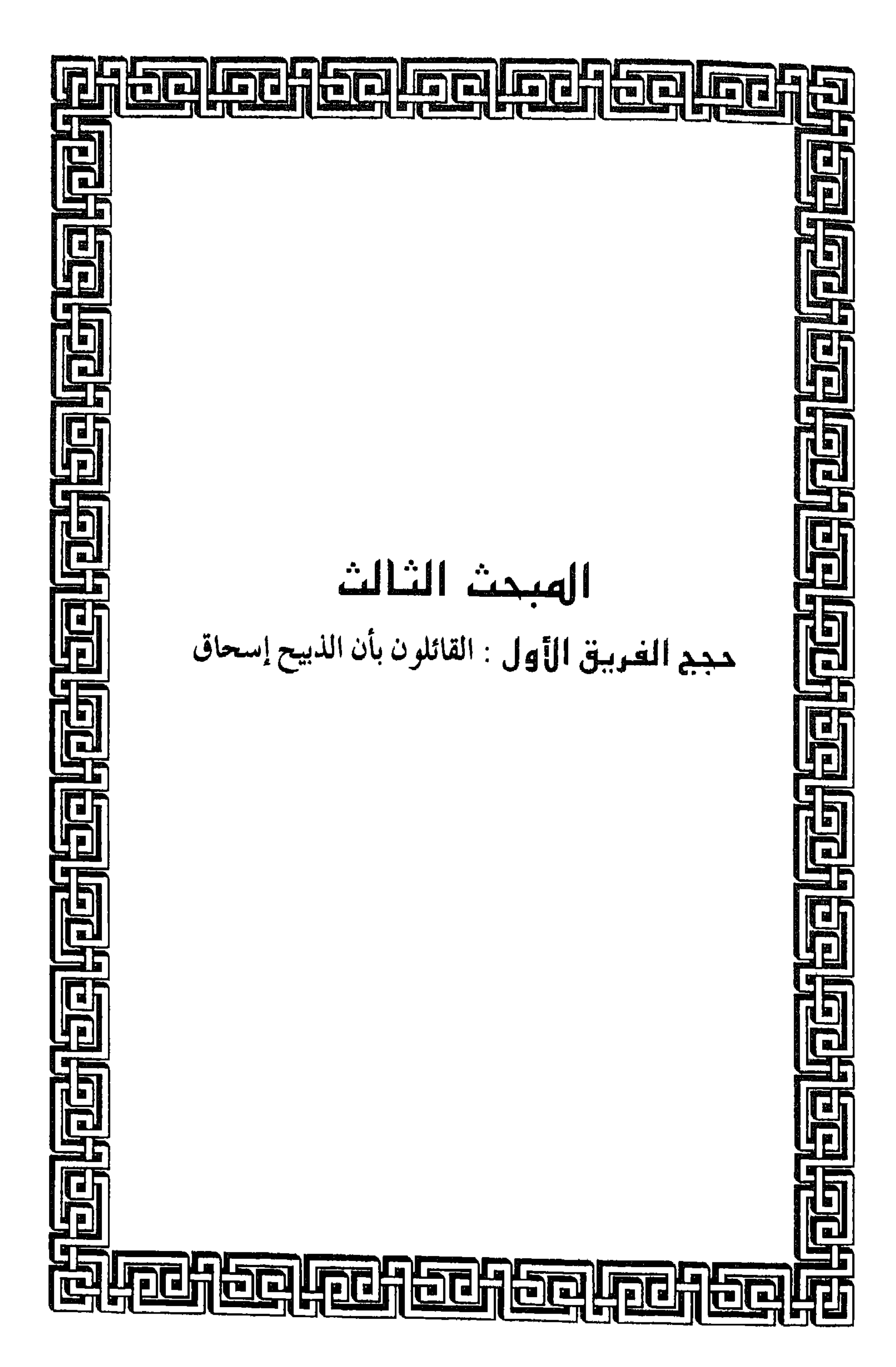
---

(١) راجع مفاتيح الغيب جـ ٢٦ صـ ١٥٨ روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٢ .

(٢) راجع روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٢ .

(٣) راجع المصدرين السابقين ، تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٦ .





المبحث الثالث

حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق



المبحث الثالث

حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسحاق على حجج نقلية ممثلة فى روايات وآثار مرفوعة وموقوفة ، وعلى حجج أخرى عقلية ممثلة فى استنباطات واستدلالات استخرجوها من آيات القرآن الكريم :

أولاً : الحجج النقلية : ١ ـ الروايات المرفوعة :

ونبدأ هذه الحجج النقلية بالروايات المرفوعة إلي النبى ﷺ :

الرواية الأولى :

أولى هذه الروايات مرفوعة إلي النبى ﷺ برواية العباس بن عبد المطلب :

يقول الطبرى : والرواية التى رويت عنه ـ أى النبى ﷺ ـ أنه قال : هو إسحاق ، حدثنا بها أبو كريب قال : حدثنا زيد بن الحباب عن الحسن بن دينار عن على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺ فى حديث ذكر فيه « وفديناه بذبح عظيم » قال : « هو إسحاق » [١] .

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله :

« ففى إسناده ضعيفان ، وهما : الحسن بن دينار البصرى متروك ، وعلى بن زيد ابن جدعان : منكر الحديث » .

ثم يذكر أنه قد رواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان به مرفوعاً .

---

(١) جامع البيان جـ٢٣ صـ٥١ تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٣ .

ثم قال : قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضى الله عنه ، وهذا أشبه وأصح وأعلم (١) .

وبذلك فإن الرواية موقوفة على العباس فقط وليست مرفوعة إلى النبى ﷺ بل إن الطبرى نفسه بعد أن أورد الخبر السابق مرفوعاً قال :

« وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذا الوجه غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى النبى ﷺ » (٢) .

وقد ذكر الهيثمى عن العباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺ قال : الذبيح إسحاق .

ثم علق على ذلك بقوله : « رواه البزار وفيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور » (٣) .

ويضيف الألبانى أن مباركا هذا قد رواه عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، وهذا سند ضعيف ، حيث إن الحسن مدلس بجانب أن المبارك فيه ضعف ، ومع ضعفه فقد اضطرب فى روايته فمرة رفعه كما فى هذه الرواية ، ومرة أوقفه على العباس كما رواه البغوى فى حديث على بن الجعد ، وابن أبى حاتم (٤) .

وقد أشار الشيخ الألبانى إلى بعض الطرق التى ورد بها الحديث وانتهى إلى أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة ليس فيها ما يصلح أن يحتج به ، وبعضها أشد ضعفاً من بعض ، والغالب أنها إسرائيليات رواها بعض الصحابة ترخصاً أخطأ فى رفعها بعض الضعفاء (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٧ راجع أيضا السيوطى فى رسالته : القول الفصيح صـ٣٦ ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

(٢) تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٣ .

(٣) مجمع الزوائد جـ٨ صـ٢٠٢ دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأمة حديث رقم ٣٣٢ .

(٥) راجع المصدر السابق صـ٣٣٧ ـ ٣٣٩ .

ويرى الدكتور أبو شهبة أن هذا الحديث ضعيف ساقط لا يصلح الاحتجاج به (١) .

الرواية الثانية :

وهناك رواية أخرى مرفوعة إلى النبى ﷺ عن العباس بن عبد المطلب أيضا ذكرها السيوطى بقوله :

« وأخرج البزار وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « قال نبى الله داود : يارب أسمع الناس يقولون : رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلنى رابعاً .

قال : إن إبراهيم ألقى فى النار فصبر من أجلى ، وإسحاق جاد لى بنفسه ، وإن يعقوب غاب عنه يوسف ، وتلك بلية لم تنلك » (٢) .

وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعاً وقال : هذا حديث صحيح « رواه الناس عن على بن زيد بن جدعان تفرد به » .

وسكت عليه الذهبى ولم يزد على قوله : « رواه الناس عن ابن جدعان » .

وابن جدعان ضعيف منكر الحديث كما قال الألبانى (٣) ونقل ذلك عن الحافظ ابن كثير ، وقد أوردت ذلك عنه فى الحديث الأول (٤) .

وقد ذكر الهيثمى هذه الرواية بزيادة عن العباس أيضا أن النبى ﷺ قال :

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٣٥٤ ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م .

(٢) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٧ دار الفكر بيروت .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٣٣٦ ، راجع المستدرك للحاكم جـ٢ صـ٥٥٦

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٧ .

قال داود ﷺ : أسألك بحق آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال : أما إبراهيم فألقى فى النار فصبر من أجلي وتلك بليه لم تنلك ، وأما إسحاق فبذل نفسه ليذبح فصبر من أجلى وتلك بلية لم تنلك ، وأما يعقوب فغاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك » [1]

ثم علق على هذه الرواية بقوله « رواه البزار من رواية أبى سعيد عن على بن زيد وأبو سعيد لم أعرفه ، وعلى بن زيد ضعيف وقد وثق » [2] .

ويعقب الألبانى على كلام الهيثمى بقوله « أبو سعيد هذا هو الحسن بن دينار ، وهو واهٍ بمرة .

وانتهى إلى أن هذا الحديث : ضعيف جداً [3] .

الرواية الثالثة :

وأما الرواية المرفوعة الثالثة فقد ذكرها السيوطى بقوله :

« أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى ، أو شفاعتى فاخترت شفاعتى ، ورجوت أن تكون أعم لأمتى ، ولولا الذى سبقنى إليه العبد الصالح لعجلت دعوتى ، إن الله لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له : يا إسحاق ، سل تعطه قال : أما والله لأتعجلها قبل نزغات الشيطان ، اللهم من مات لايشرك بك شيئا فقد أحسن ، فاغفر له » [4] .

---

(١) مجمع الزوائد جـ٨ صـ٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة والموضوعة جـ١ حديث رقم ١٣٥ .

(٤) الدر المنثور جـ١١ صـ١٠٨ .

وقد أورد الحافظ الهيثمي هذه الرواية عن أبي هريرة أيضاً وعلق عليها بقوله : « رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وشيخ الطبراني لم أعرفه » (١) .

وذكرها أيضا الحافظ ابن كثير وعقب عليها بقوله :

« هذا حديث غريب منكر ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث » (٢) .

وبيّن الشيخ الألباني أن عبد الرحمن بن زيد هذا ضعيف جداً ، ونقل عن الحاكم قوله عنه « روى عن أبيه أحاديث موضوعة لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه » (٣) .

وذكر الألباني أيضا أن عبد الرحمن هذا هو راوى حديث توسل آدم بالنبي ﷺ وهو حديث موضوع ونقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا » .

وقال الطحاوي : « حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف ».

وقال ابن حبان : « كان يقلب الأخبار وهو لايعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك » (٤) .

وذكر الحافظ ابن كثير أن في هذا الحديث المذكور زيادة مدرجة وهي قوله : « إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق .. إلى آخره فهذا إن كان محفوظاً فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل ، وإنما حرفوه بإسحاق حسداً منهم .

وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل

(١) مجمع الزوائد جـ٨ صـ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٦ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ١ صـ ٣٩ .

(٤) المصدر السابق جـ١ صـ٣٩ ـ ٤٠ .

لا إسحاق ، فإنه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام [1] .

وينتهى الشيخ الألبانى إلى أن هذه الزيادة فى الحديث هى من الإسرائيليات بدليل أن كعب الأحبار حدث بها أبا هريرة كما أخرجه الحاكم بسنده إلى كعب [2] .

وسوف نشير إلى رواية كعب ودوره فى هذه الراويات عند التعقيب عليها.

الرواية الرابعة:

وهناك رواية مرفوعة من ابن مسعود إلى النبى ﷺ أنه سُئِل : « من أكرم الناس ؟ قال : يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله » .

وعلق عليه الهيثمى بقوله : « رواه الطبرانى وبقية مدلس ، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ، وقال السيوطى : وأبو عبيدة عن أبيه عبد الله منقطع » [3] .

وذكر الألبانى أن هذا الحديث منكر بهذا اللفظ ، وأن الطبرانى قد رواه من طريق أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ .

وعلق على قول الهيثمى الذى أوردته آنفاً عن « بقية » بقوله : « ولكن بقية قد توبع عليه فقد رواه ابن المظفر فى « غرائب شعبة (١٣٨ / ١) عن معاوية ابن حفض وبقية معا عن شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود .

وينتهى الألبانى إلى أن شعبة قد رواه عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو الصواب ، أخرجه الطبرانى فى

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٦ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١ صـ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

(٣) مجمع الزوائد جـ٨ صـ٢٠٢ القول الفصيح صـ٣٧

« الكبير » (٣ / ١٨ / ١) (١) .

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله « وهذا صحيح عن ابن مسعود » ويقصد بذلك أنه موقوف عليه (٢) .

والحديث صحيح مرفوعاً فيما يقول الألبانى دون قوله « إن إسحاق ذبيح الله ، فإن هذه الزيادة منكرة فقد أخرج الحديث البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ، وليس فى الحديث « ذبيح الله » فدل على نكارتها » (٣) .

جاء فى جامع الأصول لابن الأثير عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه عنه البخارى ومسلم أنه قال : « سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فيوسف نبى الله بن خليل الله ... (٤) .

وجاء فى رواية البخارى قوله ﷺ : فأكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله بن نبى الله بن خليل الله (٥) .

ولذلك فإن البيضاوى حينما ذكر هذا الحديث بين أن الصحيح أنه قال : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، والزوائد من الراوى (٦) .

الرواية الخامسة :

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١ صـ١ ٢٤ ـ ٢٤٢ حديث رقم ٣٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٧ .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٣٣٤ .

(٤) جامع الأصول جـ٩ صـ٢٢٨ ـ ٢٢٩ حديث رقم ٦٨٢٢ .

(٥) راجع فتح البارى لابن حجر جـ٦ صـ٤١٤ حديث رقم ٣٣٧٤ كتاب أحاديث الأنبياء راجع أيضا الجزء الثانى صـ٤٤٢ .

(٦) راجع تفسير البيضاوى ج ٢ صـ ٥٩٥ والفتح السماوى بتخريج أحاديث تفسير البيضاوى جـ٣ صـ ٩٥٥ ـ ٩٥٦ وحاشية الشهاب جـ ٧ صـ ٢٨٠ .

قال : « إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات فساخ ، ثم أتى الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق قال لأبيه : يا أبت أوثقني لا أضطرب فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني ، فشده فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه ، نودى من خلفه : (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) [1] .

وقد أورد الهيثمي هذا الحديث في كتابه مجمع الزوائد وعلق عليه بقوله : « رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط » [2] .

وأورد روايتين أخريين له عن ابن عباس أيضا بدون أن يذكر فيهما اسم الذبيح وقال « رواه كله الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط » [3] .

وقد أورد الشيخ الألباني رواية الإمام أحمد لهذا الحديث في كتابه « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » وعلق عليه بقوله « ضعيف بهذا السياق : أخرجه أحمد من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً .

وهذا إسناد ضعيف رجاله كلهم ثقات ، وعلته أن عطاء بن السائب كان قد اختلط وسمع منه حماد في هذه الحالة وقبلها أيضا » [4] .

ثم يذكر الألباني أن قول الزرقاني في شرح المواهب (١ / ٩١) والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند « إسناده صحيح » غير مسلم .

ويشير إلى أنه من المعروف عن الشيخ أحمد أنه يحتج في تصحيح هذا

---

(١) المسند جـ٤ صـ٢٨٣ حديث رقم ٢٧٩٥ تحقيق الشيخ أحمد شاكر .
راجع أيضا الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٤ .
(٢) مجمع الزوائد جـ٣ صـ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
(٣) المصدر السابق جـ٣ صـ٢٦٠ .
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ١ صـ٣٤٤ حديث رقم ٣٣٧ .

السند بأن حماداً سمع من عطاء قبل الاختلاط وأنه ذكر ذلك في غير ما موضع من «المسند» وغيره وأنه ذهول عما ذكره الحافظ في « تهذيب التهذيب » عن بعض الأئمة أنه سمع منه في الاختلاط أيضا ، فلا يجوز حينئذ تصحيح حديثه إلا بعد تبين أنه سمعه منه قبل الاختلاط (١) .

والحقيقة أنني رجعت إلى كلام الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث فوجدته قد انتهى إلى ما انتهى إليه الشيخ الألباني في تعيين اسم الذبيح على الأقل ، وهو وإن قال على الحديث : « إسناده صحيح » إلا أنه استدرك قائلا :

« إلا أن قوله فيه » فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق » نراه خطأ من عطاء بن السائب ، فالذبيح إسماعيل ، كما دل عليه الكتاب والسنة » (٢) .

ثم أشار إلى تعليق ابن كثير على هذا الحديث حيث أورد ابن كثير رواية الإمام أحمد عن ابن عباس وفيها أن الذبيح إسماعيل (والتي سوف نتحدث عنها عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل) وعقب عليها بقوله « ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه أنه إسماعيل لما سيأتي » (٣) .

وقد عقب الشيخ أحمد شاكر على كلام الحافظ ابن كثير بقوله ونقول : بل هذه الرواية خطأ قطعا ، فيكون عن ابن عباس رواية واحدة وأشار إلى الحديث رقم ٢٧٠٧ الذي سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى (٥)

(١) المصدر السابق .
(٢) المسند جـ٤ صـ٢٨٣ تعليق على الحديث ٢٧٩٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ ١٥ .
(٤) المسند جـ٤ صـ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(٥) عند حديثنا عن القائلين بأن الذبيح إسماعيل وعرض حججهم .

وبذلك يكون الشيخ أحمد شاكر قد اتفق مع الحافظ الهيثمى ومع الشيخ الألبانى فى أن خلط عطاء بن السائب ثابت وأدى إلى غلطه فى اسم الذبيح، وهذا هو الحق .

فليس هناك علاقة بين إسحاق وبين الجمرة القصوى وجمرة العقبة ؟!! فهو كما سنبين بعد ذلك وأشرنا إليه من قبل لم يأت مكة ولم ينزل منى، وليس هناك أدنى ارتباط أو صلة بينه وبين المشاعر المقدسة بأى حال من الأحوال .

ولذلك فإن الشيخ الألبانى ينتهى إلى أن هذا الحديث قد أخرجه الحاكم من طريق أخرى عن ابن عباس رفعه دون قصة الذبح وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وأخرجه أحمد (رقم ٢٧٠٧) من طريق ثالث عنه أتم منه، وفيه القصة، وفيه تسمية الذبيح إسماعيل وهو الصواب [١] .

هذا وقد أضاف الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة إلى هذه الأحاديث المذكورة حديثين أحدهما أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إن داود سأل ربه مسألة، فقال : اجعلنى مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فأوحى الله إليه : إنى ابتليت إبراهيم بالنار فصبر، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر، وابتليت يعقوب فصبر » .

والحديث الثانى أخرجه الدارقطنى فى مسند الفردوس بسندها عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « الذبيح إسحاق » [٢] .

ومن الواضح أنهما بنفس المعانى التى وردت بهما فى الروايتين الأولى والثانية من الروايات السابقة وإن اختلفت فى السند حيث رواهما الدارقطنى والديلمى، وقد علق الشيخ أبو شهبة بأنهما من الأحاديث التى لاتصح ولاتثبت فإن أحاديث الديلمى فى مسند الفردوس شأنها معروف، والدارقطنى ربما

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١ صـ٣٢٤ .

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٣٥٤ .

يخرج فى سننه ما هو موضوع [1] .

وينتهى الشيخ أبو شهبة إلى أن ماروى من الأحاديث المرفوعة فى أن الذبيح إسحاق إما موضوع وإما ضعيف لايصح الاحتجاج به [2] .

وبذلك فإنه قد تبين لنا من خلال عرض هذه الروايات ، ونقد علماء الحديث لها من حيث سندها ، وبيان أن بعضها ضعيف ، والبعض الآخر ضعيف جداً وأن هذا الضعف يجعلها من الأحاديث التى لايصح الاستشهاد بها ، ولايعتمد عليها فى الاستدلال والترجيح ، ناهيك عن كونها موقوفة وليست مرفوعة .

وأما أكثر هذه الأحاديث فقد تبين لنا أنها موضوعة ومنكرة .

وهذا الأمر يجعلنى أشير إلى أن الإمام القرطبى لم يحالفه التوفيق ، وجانبه الصواب حينما ذكر أن القول بأن الذبيح إسحاق أقوى فى النقل عن النبى ﷺ وعن الصحابة والتابعين [3] .

فأين هذه القوة ؟ وقد تهاوت الروايات التى اعتمد عليها هو والإمام الطبرى رواية بعد رواية .

وإذا كانت هذه الروايات قد استشهدا بها هما وغيرهما ممن رأى رأيهما على أنها أحاديث مرفوعة إلى النبى ﷺ ، وثبت لنا من خلال النقد أنها ليست كذلك .

إذا كان الأمر هكذا فيكون معنى ذلك أن حجة استشهادهم بها قد ضعفت وعلة اعتمادهم عليها واستدلالهم بما ورد فيها قد سقطت ووهت ، وأن هذه

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق صـ٣٦٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ صـ ١٠٠ .

الأحاديث قد انتهت إلى أحاديث بعضها موضوع ومنكر ، وبعضها الآخر موقوف يعتريه الضعف ، وتسرى فيه العلل .

فلننظر إلى الأحاديث الموقوفة على بعض الصحابة والتابعين التى استدل بها أصحاب الفريق الأول من حيث سندها بعد أن تبين لنا سقوط الاستدلال بالأحاديث المرفوعة .

٢ - الروايات الموقوفة :

لقد تبين لنا من خلال عرض الروايات المرفوعة والتعقيب عليها بنقد سندها أن بعضها موقوف على الصحابة مثل رواية العباس بن عبد المطلب ورواية ابنه عبد الله ورواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم جميعاً .

فهذه الروايات الثلاث التى عرضناها على أنها مرفوعة حسب زعم المستشهدين بها إلى النبى ﷺ تبين من خلال نقد علماء الحديث أنها ليست مرفوعة ، وإنما هى موقوفة على هؤلاء الصحابة .

ولذلك فإن السيوطى قد أوردها فى كتابه « الدر المنثور » على أنها موقوفة :

يقول السيوطى : أخرج عبد بن حميد والبخارى فى تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردوية عن العباس بن عبد المطلب قال : الذبيح إسحاق .

وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : الذبيح إسحاق .

وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال الذبيح إسحاق .

وأضاف السيوطى رواية رابعة إلى على رضى الله عنه قال : أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن على رضى الله عنه قال : الذبيح إسحاق .

ورواية خامسةعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : أخرج الحاكم بسند فيه الواقدى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام أن يذبح إسحاق (١) .

وذكر القرطبى وغيره أن الصحابة الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق هم :

العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وعبد الله بن مسعود وجابر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عمر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعاً (٢) .

وأضاف البغوى وغيره إلى هؤلاء السبعة من الصحابة الذين ذكرهم القرطبى عدداً من التابعين وغيرهم مثل :

سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعلقمة والشعبى ، وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعبيد بن عمير وأبى ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن يزيد ومكحول وعثمان بن حاضر وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والسدى وعبد الله بن أبى الهذيل ومالك بن أنس والحسن (٣).

ومن الروايات المنسوبة إلى هؤلاء من التابعين وغيرهم نذكر بعضها :

أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : لما رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام ذبح إسحاق سار به من منزله إلى المنحر بمنى مسيرة شهر فى غداة واحدة فلما صرف عنه الذبح ، وأمر بذبح

(١) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٩ .
(٢) تفسير القرطبى جـ١٥ صـ٩٩ - ١٠٠ .
(٣) راجع معالم التنزيل للبغوى جـ٤ صـ٣٢ تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ١٠٠ .
القول الفصيح فى تعيين الذبيح صـ٣٨ - ٣٩ ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

الكبش ، ذبحه ثم راح به ، وراحا إلى منزله فى عشية واحدة مسيرة شهر طويت له الأودية والجبال (١) .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مسروق رضى الله عنه قال : الذبيح إسحاق (٢) .

وأخرج عبد بن حميد عن عثمان بن حاضر قال : لما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق **ترك أمه سارة في مسجد الخيف** ، وذهب بإسحاق معه ، فلما بلغ حيث أراد أن يذبحه قال إبراهيم لمن كان معه : استأخروا منى ، وأخذ بيده ابنه إسحاق ، فعزله فقال : يابنى (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟) قال له إسحاق : ياأبت ربى أمرك ، قال إبراهيم : نعم يا إسحاق ، قال إسحاق (افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) « فلما أسلما » لأمر الله « وتله » قال إسحاق لأبيه :

يا أبت أوثقنى لأطيش بك نودى « ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا » .

وهبط عليه الكبش من ثبير .

وقد قيل : إنه ارتعى فى الجنة أربعين سنة ، فلما كشف عن إسحاق دعا ربه ورغب إليه ، وحمده ، وأوحى إليه : أن ادع فإن دعاءك مستجاب .

فقال : اللهم من خرج من الدنيا لايشرك بك شيئا فأدخله الجنة ، قال ابن خاضر : **إبراهيم كان قال لربه** : يارب أى ولدى أذبح ، فأوحى الرب إليه : أحبهما إليك (٣) .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى رضى الله عنه قال : يا إسحاق

---

(١) القول الفصيح جـ٣٨ ، الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٩ تفسير القرطبى جـ١٥ صـ١٠٠ .
(٢) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٩ .
(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ٢٣ صـ١١٢ .

انطلق فقرب قربانا إلى الله ، فأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق به حتى إذا ذهب به بين الجبال قال الغلام : يا أبت أين قربانك (قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) قال له إسحاق : ياأبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لاينضح عليها من دمى شىء فتراه سارة فتحزن وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون أهون للموت على ، فإذا أتيت سارة فاقرأ عليها السلام منى ، فأقبل عليه إبراهيم بقلبه وهو يبكى وإسحاق يبكى ، ثم إنه جر السكين على حلقه ، فلم تنحر وضرب الله على حلق إسحاق صفيحة من نحاس ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه وحز من قفاه ، وذلك قول الله (فلما أسلما) يقول : سلما لله الأمر (وتله للجبين) فنودى يا إبراهيم (قد صدقت الرؤيا) بإسحاق فالتفت فإذا هو بكبش فأخذه وحل عن ابنه وأكب عليه يقبله وجعل يقول : اليوم يابنى وهبت لى [1] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال : إن الله لما أمر إبراهيم بذبح ابنه قال له : يابنى خذ الشفرة فقال الشيطان : هذا أوان أصيب حاجتى من آل إبراهيم فلقى إبراهيم متشبهاً بصديق له ، فقال له : يا إبراهيم أين تعمد ؟ قال : لحاجة . قال : والله ما تذهب إلا لتذبح ابنك من أجل رؤيا رأيتها والرؤيا تخطئ وتصيب وليس فى رؤيا رأيتها ما تذهب بإسحاق ، فلما رأى أنه لم يستفد من إبراهيم شيئا لقى إسحاق ، فقال أين تعمد يا إسحاق ؟ قال : لحاجة إبراهيم قال : إن إبراهيم إنما يذهب بك ليذبحك فقال إسحاق : وما شأنه يذبحنى وهل رأيت أحداً يذبح ابنه ؟ قال : يذبحك لله ، قال : فإن يذبحنى لله أصبر والله لذلك أهل ، فلما رأى أنه لم يستفد من إسحاق شيئا جاء إلى سارة فقال : أين يذهب إسحاق ؟ قالت : ذهب مع إبراهيم لحاجته ، فقال : إنما ذهب به ليذبحه فقالت :

---

(١) المصدر السابق جـ٢٣ صـ١١٠ ، تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٤٩ .

وهل رأيت أحداً يذبح ابنه ؟

قال : يذبحه لله قالت : فإن ذبحه لله ، فإن إبراهيم وإسحاق لله ، والله لذلك أهل .

فلما رأى أنه لم يستفد منها شيئاً ، أتى الجمرة ، فانتفخ حتى سدَّ الوادى ومع إبراهيم الملك فقال الملك : ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات ، يكبر فى أثر كل حصاة فأفرج له عن الطريق ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثانية حتى سد الوادى فقال له الملك : ارم ياإبراهيم فرمى بسبع حصيات يكبِّر مع كل حصاة ، فأفرج له عن الطريق ، ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثالثة : فانتفخ حتى سدَّ الوادى عليه فقال له الملك : ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات يكبِّر فى أثر كل حصاة ، فأفرج له عن الطريق حتى أتى المنحر [1] .

ومن الواضح أن الروايات الثلاث الأخيرة تدور أحداثها فى مكة وما حولها عند المنحر وبين المناسك .

وقبل أن نتكلم عن أسانيدها ونبين درجتها من هذه الناحية ، أود أن أشير إلى أمر هام يكاد يكون مجمعاً عليه إن لم يكن مجمعاً عليه بالفعل ، وهو أن إسحاق ما نزل مكة ، ولا ارتبط اسمه بها ، أو بأى مكان مقدس من مشاعرها المقدسة ، سواء فى منى أو المزدلفة وغيرهما ، بل إن السيدة سارة أم إسحاق ما أثر أنها جاءت إلى منى ودخلت مسجد الخيف ! ! ! وغير ذلك من الأوهام والزيادات والإضافات التى اضطرتهم إلى أن يقولوا إن إسحاق جيء به من الشام إلى مكة وإلى منى لكى يذبح ، وهذا كلام مستبعد فى العقل ، وينقصه التوثيق فى التاريخ كما سنبينه بعد ذلك .

وهكذا اطلعنا على عدة روايات موقوفة على بعض الصحابة والتابعين

---

(١) الدر المنثور جـ ٢٣ صـ ١١١ .

وتابعى التابعين نقلها عدد من المفسرين ، واستشهد بها القائلون بأن الذبيح إسحاق معتقدين صحة أسانيدها ، وجواز الاستدلال بها .

فقد نقل القرطبى بعض هذه الروايات عن سبعة من الصحابة هم : العباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر ، وعبد الله بن عمر ، وعمر ، وعلى بن أبى طالب .

ثم يقول : « فهولاء سبعة من الصحابة ، وقال به من التابعين وغيرهم علقمة والشعبى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وكعب الأحبار ، وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، والقاسم بن أبى بزة ، وعطاء ، ومقاتل ، وعبد الرحمن بن سابط ، والزهرى ، والسدى ، وعبد الله بن أبى الهذيل ، ومالك بن أنس كلهم قالوا : الذبيح إسحاق » [1] .

وهناك ملاحظة جديرة بالتأمل وهى أن الروايات المنقولة عن بعض الصحابة فى أن الذبيح إسحاق ، يقابلها من الجانب الآخر روايات عن نفس هؤلاء الصحابة والتابعين فى أن الذبيح إسماعيل ، وهذا يعنى أن أحد القولين صحيح والآخر باطل .

وهذا واضح جداً فى الأقوال المنسوبة إلى الإمام ابن عباس وإلى الإمام عبد الله بن عمر ، وكذلك الأمر فى بعض التابعين وسيتضح لنا ذلك حينما نتحدث عن حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل .

يذكر الحافظ ابن كثير أن القول بأن الذبيح إسحاق قال به عدد من الصحابة والتابعين ، وذكر أسماءهم ، ثم قال :

« وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ، ولكن الصحيح عنه ــ وعن أكثر هؤلاء ــ أنه إسماعيل عليه السلام .

(١) تفسير القرطبى جـ١٥ صـ٩٩ ـ ١٠٠ .

قال مجاهد وسعيد والشعبى ويوسف بن مهران ، وعطاء وغير واحد عن ابن عباس : هو إسماعيل عليه السلام (١) .

بل إن الإمام الطبرى نفسه نقل عن ابن عباس قوله : « المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود » (٢) .

ولذلك فإن ابن كثير حينما يشير إلى أن القول بأن الذبيح إسحاق هو اختيار ابن جرير ، يعقب على ذلك بقوله : « وهذا عجيب منه » (٣) .

فابن جرير كما يقول الدكتور محمد حسين الذهبى لم يلتزم الصحة فى كل مايرويه ، ويرى أننا لو عرضنا هاتين الروايتين المذكورتين عن ابن عباس على قواعد المحدثين فى نقد الرواية والترجيح لتبين لنا بكل وضوح وجلاء أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل أصح من غيرها وأرجح مما يخالفها ، لأنها مؤيدة بأدلة كثيرة (٤) .

وهذه الأدلة الكثيرة والقوية سوف نبينها عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل إن شاء الله تعالى .

مصدر هذه الروايات :

وإذا كانت الروايات المرفوعة التى استشهد بها الفريق الأول ، والتى أوردناها آنفاً ، قد بين العلماء أنها ليست مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فبعضها موقوف على الصحابة والتابعين ، والكثير منها أحاديث موضوعة ، أو منكرة ، أو ضعيفة ، وكلها حتى الموقوف منها لايجوز الاستشهاد بها ، ولايمكن

---

(١) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٤ ، راجع أيضا زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى جـ ٧ صـ ٧٣ المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ٥٣ تاريخ الطبرى جـ١ صـ ٢٦٨ .

(٣) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٤ .

(٤) التفسير والمفسرون جـ١ صـ٢ ، نشر دار الكتب

الاعتماد عليها فى الاستدلال .

وإذا كانت الروايات الموقوفة على الصحابة والتابعين والتى أوردناها أيضا عقب الروايات المرفوعة لايمكن الاحتجاج بها أيضا ، فنسبتها إلى الموقوفة عليهم غير صحيحة ، وسندها منقطع ، كما سيتبين الآن من كلام العلماء .

إذا كان الأمر كذلك فما هو المصدر الحقيقى لهذه الروايات التى صدرت عنه ، حتى شاعت فى كتب التفسير ، وانتشرت فى كتب الحديث ، ونقلت عن بعض العلماء ، ونسبت إليهم .

يذكر ابن كثير فى كتابه قصص الأنبياء أنه قد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم ، وأنهم إنما أخذوه من كعب الأحبار أو من صحف أهل الكتاب ، وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولايفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل [1] .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنا القاسم قال : اجتمع أبو هريرة وكعب ، فجعل أبو هريرة رضى الله عنه ، يحدث عن النبى ﷺ ، وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى ﷺ : « إن لكل نبى دعوة مستجابة وإنى قد خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » فقال كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فداك أبى وأمى ـ أو فداء أبى وأمى ـ أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

أنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق ، وفى رواية أن كعبا قال لأبى هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبى قال أبو هريرة : بلى : قال كعب : لما أرى إبراهيم ذبح إسحاق قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا ،

---

(١) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٢ .

فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه ، فذهب الشيطان ، فدخل على سارة فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ وفى رواية أين ذهب إبراهيم غادياً بإسحاق قالت : غدا به لبعض حاجته ، قال : فإنه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه ، قالت : ولم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب (١) .

ولذلك فإن ابن كثير بعد أن أورد الروايات التى تذكر أن الذبيح إسحاق عقب عليها بقوله :

« وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم فى الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً ، فربما استمع له عمر رضى الله عنه ، فترخص الناس فى استماع ما عنده ، ونقلوا ماعنده عنه ، غثها وسمينها ، وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده » (٢) .

ويذكر القاسمى أن المفسرين قد رووا فى قصة الذبيح روايات منكرة لم يصح سندها ولامتنها ، بل ولم تحسن ، فهى معضلة تنتهى إلى السدى وكعب ، والسدى حاله معلوم فى ضعف مروياته وكذلك كعب » (٣) .

وإذا كانت أغلب الروايات إن لم يكن كلها منقولة عن كعب والسدى فإن هناك أثراً يكثر الاستشهاد به والاعتماد عليه من قبل القائلين بأن الذبيح إسحاق .

يذكر كثير من المفسرين (٤) أن الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق ، قد استدلوا بكتاب يعقوب إلى يوسف :

---

(١) راجع الدر المنثور للسيوطى جـ٢٣ صـ١٠٨ ــ ١٠٩ ، تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٥ ــ ٢٦٦ تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٢ ، تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٥ ــ ١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ ١٧ .

(٣) محمد جمال الدين القاسمى : محاسن التأويل جـ١٤ صـ١٢٠ دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٤) الزمخشرى فى الكشاف جـ٣ [illegible] ٣٥٠ والرازى فى [illegible] الكـ[illegible] ٢٦ صـ١٥٤ ــ ١٥٥ .

من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله .

وعقب عليه الكثيرون منهم البيضاوى وأبوالسعود وغيرهما بأن هذا الحديث لم يثبت .

وذكر مثل ذلك الشهاب الخفاجي والبقاعى ، وأشارا إلى أن هذا الحديث موضوع [1] .

فقد علق الحافظ ابن حجر فى كتابه « الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف » على هذا الحديث بقوله :

« أخرجه الترمذى فى النوادر فى الحادى والعشرين بعد المائتين ، حدثنا عمر بن أبى عمر حدثنا عصام بن المثنى الحمصى عن أبيه عن وهب بن منبه قال:

كتب يعقوب كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : من يعقوب نبى الله إلى آخره .... » .

وأخرج الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسى عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه ، أوصى إلىَّ ملك الموت أن ائت يعقوب فسلم عليه فذكر الحديث ـ وفيه فقال : اكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم : من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر : أما بعد فإنا أهل بيت فذكره مطولا .

قال الدارقطنى : هذا موضوع ، وإسحاق كان يضع الحديث على ابن وهب [2] .

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى جـ٧ صـ٢٨٠ ، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ١٦ صـ٢٦٢ راجع أيضا السيرة الحلبية جـ١ صـ٦٠ وتفسير البيضاوى جـ٢ صـ٢٩٧ وأبى السعود جـ٤ صـ٢٠٠ ، وشرح الشفا جـ١ صـ٤٩٠ .

(٢) هامش صـ٥٧ من تفسير الكشاف جـ٤ الناشر دار الكتاب العربى بيروت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، راجع أيضا الفتح السماوى فى تخريج أحاديث تفسير البيضاوى للمناوى جـ٣ صـ٩٥٦ ـ ٩٥٧ .

تعقيب :

وبذلك فإن الروايات التى اعتمد عليها القائلون بأن الذبيح إسحاق روايات موضوعة أو منكرة أو ضعيفة ، نقلت عن أحبار أهل الكتاب ، ونقلها هؤلاء دون أن يبحثوا فى سندها ، ظنا منهم أن ما عليه أهل الكتاب أولى بالاتباع .

وإلى قريب من هذا يقول القرطبى فى معرض ترجيحه للرأى القائل بأنه إسحاق « وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى » [1] .

وكان ينبغى عليه أن يقول مثل الألوسى فى هذا الشأن ، حينما مال إلى الرأى القائل بأنه إسماعيل ، بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه وأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت، وأنه لم يتيقن صحة حديث مرفوع يقتضى خلاف ذلك ثم انتهى إلى أن حال أهل الكتاب لايخفى على ذوى الألباب [2] .

ولكن القرطبى وقبله الطبرى وغيرهما ممن سبقوهما أو لحقوا بهما ، تابعوا أهل الكتاب وقلدوهم ونقلوا عنهم هذا الرأى .

يذكر ابن القيم أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم [3] .

وذكر أيضا فى الفتاوى أن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق بدلاً من إسماعيل فتلقى ذلك عنهم من تلقاه ، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق ، وأصله من تحريف أهل الكتاب [4] .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن هذا القول قد حكى عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا ، وليس ذلك فى كتاب ولا سنة ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ١٠٠ .

(٢) روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٦ .

(٣) زاد المعاد جـ١ صـ٧١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ٤ صـ٣٣١ - ٣٣٢ .

ويرى أنه ماتلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل (١) .

ويقول فى موضع آخر: إن القائلين بأن الذبيح إسحاق إنما مستندهم على الإسرائيليات ، حيث إن كتابهم فيه تحريف ، حيث وضعوا إسحاق بدلاً من إسماعيل ، فلفظة إسحاق مقحمة مكذوبة مفتراة فى هذا الموضع لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر ، وإنما ذاك إسماعيل (٢) .

ويرى الدكتور محمد أبو شهبة أن المرويات فى أن الذبيح إسحاق هى من إسرائيليات أهل الكتاب ، وقد نقلها من أسلم منهم ، ككعب الأحبار ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسينا للظن بهم ، فذهبوا إليه ، وجاء بعدهم العلماء فاغتروا بها وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق .

وينتهى إلى أن حقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبى الأمى العربى وقومه العرب ، فقد أرادوا أن لايكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبى والعرب فضل فى أنه الذبيح حتى لاينجر ذلك إلى النبى ﷺ وإلى الجنس العربى (٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ١٤ .

(٢) راجع قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٣ .

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير صـ٣٥٥ - ٣٥٦ .

السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة الجزء الأول صـ١١٣ - ١١٤ .

ثانياً : الحجج العقلية :

استدل القائلون بأن الذبيح إسحاق بحجج عقلية استنبطوها من آيات القرآن الكريم ، وتأولوا معانيها حتى توافق مذهبهم .

ومن هذه الحجج :

الحجة الأولى :

ذكر الإمام الرازى أن من الحجج العقلية التى استدل بها هؤلاء أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام فى سورة الصافات قبل قصة الذبيح قال سبحانه : ﴿ **وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته إلى الشام .

ثم قال تعالى: ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلا إسحاق .

ثم قال بعده: ﴿ **فلما بلغ معه السعى** ﴾ وذلك يقتضى أن يكون المراد من هذا الغلام الذى بلغ معه السعى هو ذلك الغلام الذى حصل فى الشام .

فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسحاق (١) .

وقد أشار الإمام الطبرى إلى تلك الحجة بقوله :

« وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو إسحاق .

لأن الله قال: ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٢٦ صـ١٥٤ راجع أيضا تفسير الكشاف للزمخشرى جـ٣ صـ٣٥٠ النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ٢٣ صـ٦٨ هامش تفسير الطبرى .

بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً صالحاً من الصالحين فقال ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ .

فإذا كان المفدى بالذبح من ابنيه هو المبشر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، فقال جل ثناؤه : ﴿ **وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد فإنما هو معنى به إسحاق ، كان بيّنا أن تبشيره إياه بقوله : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فى هذا الموضع نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن (١) .

واستدل القرطبى أيضا بنفس الحجة التى أوردها الطبرى ولكن بشىء من التصرف فذكر أن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ أنه دعا فقال:﴿ **ربِّ هب لى من الصالحين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ (٢) .

ولأن الله قال:﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

فذكر أن الفداء فى الغلام الحليم الذى بشر به إبراهيم ، وإنما بشر بإسحاق لأنه قال : ﴿ **وبشرناه بإسحاق** ﴾ وقال هنا:﴿ **بغلام حليم** ﴾ وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل ، وليس فى القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق (٣) .

ومن الواضح أن الطبرى ومن اتبعه كالقرطبى وغيره قد اعتقدوا أولاً بأن الذبيح إسحاق جريا على ماورد فى الأحاديث التى أوردناها وبينا عدم

(١) تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٧٠ ـ ٢٧١ ، راجع أيضا تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) مريم : ٤٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ١٠١ .

صلاحيتها للاستشهاد ، واتباعاً لما ورد عند أهل الكتاب ، ثم أرادوا أن يدعموا كل ذلك بآيات القرآن الكريم ، فبذلوا محاولات فى هذا المجال حتى يتمكنوا من تطويع الآيات القرآنية للرأى الذى ذهبوا إليه .

فهم يرون أن الخليل عليه السلام قد بشر بالغلام بعد اعتزاله لقومه ، وأن هذا الغلام هو إسحاق وليس إسماعيل حسب ماورد فى سورة مريم .

وأن هذا الغلام المبشر به هو الذبيح لقوله تعالى عنه ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ .

وأن إسحاق فقط هو الذى بشر به دون إسماعيل .

وللرد عليهم وبيان بطلان ماذهبوا إليه أقول ما يلى :

فيما يتعلق بتبشير الله سبحانه لإبراهيم بإسحاق عقب الاعتزال كما يزعمون فإن هذا غير صحيح .

حيث إنهم اعتمدوا على ماورد فى سورة مريم ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ .

فلو كان هذا صحيحاً لكان إسحاق أكبر من إسماعيل وهذا مالم يقل به أحد من اليهود والنصارى ولا من المسلمين اللهم إلا ما ذكره القرطبى فشذ فيه عن الجميع حين قال فى تفسيره لقصة الذبيح « قد ذكرنا أولا مايدل على أن إسحاق أكبر من إسماعيل » [1] .

فبحثت عن استدلاله هذا فلم أجد ، وتعجبت من أين جاء بهذا الاستنتاج ، ولو كان الأمر كما يدعى لأصبح إسحاق هو البكر وأراح اليهود من محاولات التحريف والتبرير التى أحدثوها حتى ينفوا عن إسماعيل أنه بكر ويسقطوا عنه البكورية .

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ١١٣ .

والعجيب أننى وجدت القرطبى فى الجزء الثانى من تفسيره يذكر أن إسماعيل هو أكبر ولد إبراهيم وأن أباه قد نقله إلى مكة وكان له سنتان (١) .

بل الأعجب من ذلك أننى وجدته فى تفسير سورة مريم يقول بالنص فى قوله تعالى: « ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل** ﴾ والجمهور أنه إسماعيل الذبيح أبو العرب بن إبراهيم .

وقد قيل : إن الذبيح إسحاق ، والأول أظهر على ماتقدم ويأتى فى « والصافات » إن شاء الله » (٢) .

ولاندرى ما الذى جعله يغير رأيه ، ويتأول كل هذا التأويل ، فالإجماع قائم من أهل الكتاب والمسلمين على أن إسماعيل أكبر من إسحاق ، ويكفى الاستشهاد بقوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ **الحمد لله الذى وهب على على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء** ﴾ (٣) .

وبناء على ذلك فإن أول غلام بشر به إبراهيم بعد اعتزاله لقومه أو هجرته لربه هو إسماعيل وليس إسحاق ، وأن قوله تعالى ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فى سورة الصافات ينطبق على إسماعيل ، كما سنبين ذلك بالتفصيل عند ذكر الحجج التى اعتمد عيها القائلون بأنه الذبيح .

ونكتفى هنا بالإشارة إلي أن « الفاء » فى قوله تعالى ﴿ **فبشرناه** ﴾ للتعقيب والبشارة هى الإخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد ، فإن كان الله سبحانه بشر إبراهيم بأنه يولد له ولد ، أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر ـ وهو صريح فى سفر التكوين (٤) ـ فقد أخبره بأنه سبحانه قد استجاب له وزنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٢ صـ١٣٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(٢) المصدر السابق جـ١١ صـ ١١٤ دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م .

(٣) إبراهيم : ٣٩ ، ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن إسماعيل كان يذكر دائما قبل إسحاق إذا اجتمع ذكرهما فى آية واحدة .

(٤) جاء فى الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين « فقال إبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا =

يهبه ولداً بعد زمان ، فالتعقيب علي ظاهره .

وإن كان الله سبحانه بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر زوجته بعد خروجه بمدة طويلة ، فالتعقيب نسبى ، أى بشرناه حين قدرنا ذلك أو بشارة بغلام ، فصار التعقيب آيلا إلي المبادرة كما يقال : تزوج فولد له .

وعلى الاحتمالين فالغلام الذى بشر به هو الولد الأول الذى ولد له وهو إسماعيل لامحالة .

وهذا الغلام الذى بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر غير الغلام الذى بشرته به الملائكة وهو إسحاق عليهم جميعاً السلام (١) .

أما قوله تعالى فى سورة « مريم » ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ فإن الإمام الألوسى يذكر أن هذه الهبة كانت بدلاً من الذين فارقهم من أبيه وقومه الكفرة ، ولم تكن عقيب المهاجرة ، فإن أول ما وهب له عليه السلام من الأولاد إسماعيل عليه السلام .

وأما ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا فيرجع إلى بيان كمال عظم النعم التى أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء حيث إن إسحاق ويعقوب هما شجرتا الأنبياء ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير بالإضافة إلى أنه سبحانه أراد أن يذكر إسماعيل عليه السلام بفضله على الانفراد ، فقد فصل ذكره عن أبيه وأخيه عليهم السلام لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلا (٢) .

= ماض عقيما ومالك بيتى وهو اليعازر الدمشقى ، وقال إبرام أيضا : إنك لم تعطنى نسلاً وهو ذا ابن بيتى وارث لى ، فإذا كلام الرب إليه ، وكما سبق أن قلت فإن اليهود لم يجرؤا على الزعم بأن إسحاق أكبر من إسماعيل وإنما يقرون ببكورية إسماعيل ولكنهم زعموا سقوطها عنه ونزعها منه كما سبق إن بينت .

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور جـ ٢٣ صـ ١٤٩ .

(٢) روح المعانى جـ ١٦ صـ١٠٢ ، ١٠٤ .

وبذلك فإنه لاحجة للطبرى والقرطبى فى عدم ذكر إسماعيل هنا حيث اعتقدا أن إسحاق هو الذى جاء بعد الاعتزال مباشرة ونسيا أن الخليل بعد الاعتزال طلب الولد وهذا يعنى أنه لم يكن قد ولد له ، فلما بشر به لم يتعجب لأنه هو الذى سأله .

أما فى إسحاق فإنه لم يطلبه بل على العكس تعجب كثيراً هو وامرأته حينما بشرتهما الملائكة ، وسوف نفصل القول فى هذا عند ذكر حجج الفريق الثانى .

أما قولهم بأن إسحاق وحده هو الذى بشر به دون إسماعيل فإنه يكفى أن تكون هذه الآية ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ كما يقول الألوسى - دليلاً على أن إسماعيل مبشر به أيضا ، لأن قوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق** ﴾ بعد استيفاء هذه القصة فى سورة الصافات وتذييلها بما ذيل ، ظاهر الدلالة على أن هنالك بشارتين متغايرتين [1] .

ولذلك فإن الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أن ابن جرير إنما عول فى اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فجعل هذه البشارة هى البشارة بإسحاق فى قوله تعالى : ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ .

بعد أن ذكر ذلك قال : « هذا ما اعتمد عليه فى تفسيره ، وليس إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو بعيد جداً ، والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى [2] .

فما الذى استدل به ابن كعب القرظى ؟ .

لقد استدل بهذه الآية على أن هناك بشارتين متغايرتين وأن الذبيح إسماعيل .

---

(١) المصدر السابق جـ٢٣ صـ١٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاء فى تفسير الطبرى نفسه عن ابن حميد بسنده عن ابن إسحاق قال سمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول : إن الذى أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل .

وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى إبراهيم قال ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ .

يقول : ﴿ **بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ماوعد الله ، وما الذى أمر بذبحه إلا إسماعيل (١) .

الحجة الثانية :

كما استدل القائلون بأن الذبيح بأول الآيات فى سورة الصافات استدلوا كما قال الرازى أيضا بآخرها لأنه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ .

ومعناه فيما يقولون أنه بشر بكونه نبياً من الصالحين .

وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد فى قصة الذبيح ، فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام (٢) .

هذا هو تصوير الرازى لرأيهم واعتمادهم على هذه الحجة التى يذكرها القرطبى بقوله فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٣ صـ٥٣ ــ ٥٤ .

(٢) التفسير الكبير جـ٢٦ صـ ١٥٤

بشر بنبوته ، فالبشارة كانت مرتين : الأولى بولادته والثانية بنبوته جزاء على صبره ورضاه بأمر ربه ، واستسلامه له ، ولاتكون النبوة إلا فى حال الكبر و « نبيا » نصب على الحال ، والهاء فى « عليه » عائدة إلى إبراهيم وليس لإسماعيل فى الآية ذكر حتى ترجع الكناية إليه .

ومعنى قوله تعالى ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحاق** ﴾ .

أى ثنينا عليهما النعمة ، وقيل : كثرنا ولدهما ، أى باركنا على إبراهيم وعلى أولاده ، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بنى إسرائيل من صلبه (١) .

فقد حمل هؤلاء قوله تعالى:﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين** ﴾ على البشارة بنبوته ، وماتقدم على البشارة بأن يوجد قبل ، ولما كان التبشير هناك قبل الولادة ، والتسمية إنما تكون بعدها فى الأغلب لم يسم هناك وسماه هنا لأنه بعد الولادة ، واستأنس للاتحاد بوصفه بكونه من الصالحين لأن مطلوبه كان ذلك فكأنه قيل له : هذا الغلام الذى بشرت به أولاً هو ما طلبته بقولك:﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ (٢) .

ويجيب الإمام الألوسى بأن حمل قوله تعالى:﴿ **وبشرناه بإسحاق** ﴾ على البشارة بالنبوة خلاف الظاهر إذ كان الظاهر أن يقال : لو أريد ذلك بشرناه بنبوته ونحوه ، وتقدير أن يوجد نبيا لايدفعه كما لايخفى وكذا وصفه بالصلاح الذى طلبه (٣) .

وسوف يتبين لنا عند عرض حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل مدى ضعف هذه الحجة التى اعتمد عليها القرطبى ، حيث نرى أن هذه الآية نفسها ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ تدل دلالة أكيدة على أن الذبيح إسماعيل ، حيث بشر إبراهيم بإسحاق بعد أن فرغ من قصة الذبيح إسماعيل .

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٥ صـ ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢) روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٦ .   (٣) المصدر السابق .

ويمكن أن نكتفى هنا بردٍّ ذكره القرطبى نفسه فقال :

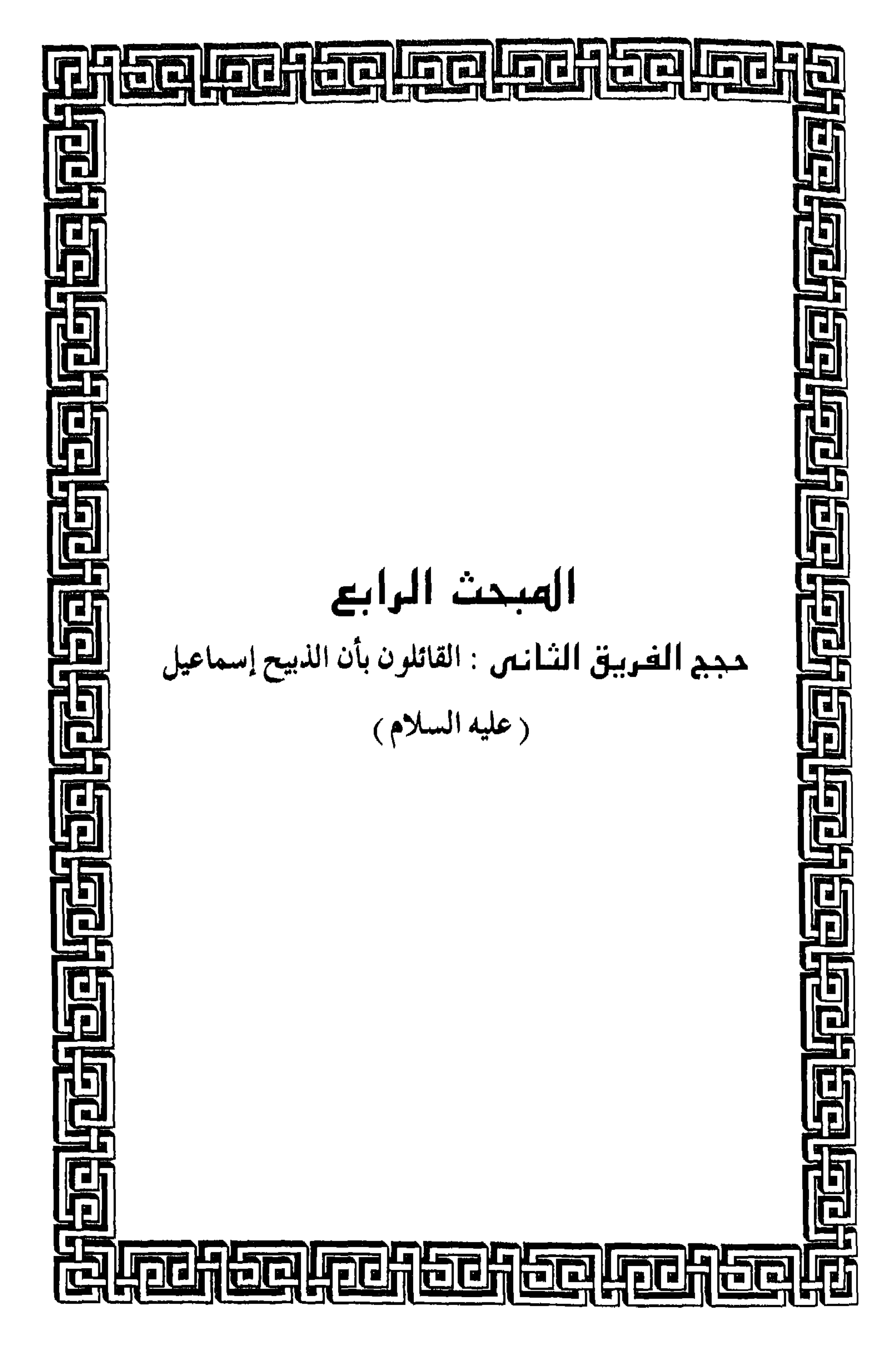
قال المفضل : الصحيح الذى عليه القرآن أنه إسماعيل ، وذلك أنه قص قصة الذبيح ، فلما قال فى آخر القصة ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ ثم قال ﴿ **سلام على إبراهيم** ﴾ قال ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ ﴿ **وباركنا عليه** ﴾ أى على إسماعيل ﴿ **وعلى إسحاق** ﴾ كنى عنه لأنه قد تقدم ذكره ثم قال : ﴿ **ومن ذريتهما** ﴾ فدل على أنها ذرية إسماعيل وإسحاق وليس تختلف الرواة فى أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشر سنة [1] .

وهذا كلام جيد ، واستدلال قوى .

ولكن القرطبى كما قلت قبل ذلك يبالغ فى الاستدلال ، حتى يضطر إلى أن يقول ما أشرنا إليه من قبل من زعمه بإن إسحاق أكبر من إسماعيل .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ١١٣ .



المبحث الرابع

حجج الفريق الثاني : القائلون بأن الذبيح إسماعيل

(عليه السلام)



المبحث الرابع

حجج الفريق الثانى : القائلون بأن الذبيح إسماعيل (عليه السلام)

بعد أن عرضنا لحجج الفريق الأول ، وبينا ضعفها ، وعدم الاعتداد بها ، سواء كانت حججاً نقلية أم عقلية ، ننتقل إلى حجج الفريق الثانى ، وإن كنا قد أشرنا إلى بعضها من قبل ، حيث إن النقد الذى عقبنا به على حجج الفريق الأول يعد فى واقع الأمر داخلاً ضمن حجج الفريق الثانى :

أولاً : الحجج النقلية :

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام على عدة روايات : بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض الآخر موقوف على كثير من الصحابة والتابعين نذكر منها مايلى :

١ ـ الرواية المرفوعة :

أورد الإمام الطبرى فى تفسيره وتاريخه رواية عن ابن عمار الرازى قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمه قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عقبة بن أبى سفيان عن أبيه قال : حدثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابجى قال :

كنا عندمعاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال : يارسول الله عدّ علىّ ما أفاء الله عليك ياابن الذبيحين ، فضحك عليه السلام فقيل له : يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن

سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده ، قال : فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله ، وقالوا افد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثانى (١) .

وقد رواها السيوطى بنفس الذى أورده الطبرى فى كتابه « الدر المنثور » وأشار إلى أن الآمدى قد رواها فى مغازيه ، والخلعى فى فوائده ، وابن مردويه (٢) .

وقد رواها الحاكم فى كتابه « المستدرك » (٣) .

وأما الحافظ ابن كثير فقد أوردها فى كتابيه : قصص الأنبياء وتفسير القرآن العظيم ، وعلق عليها بقوله « هذا حديث غريب جداً » ، وذكر أن الأموى قد رواه فى مغازيه (٤) .

وأشار كل من الزمخشرى والرازى والنيسابورى إلى رواية أخرى بنفس المعنى مبينين أن القائلين بأن الذبيح إسماعيل قد استشهدوا بها ونصها أن النبى ﷺ قال : « أنا ابن الذبيحين » (٥) .

وعلق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث فى تخريجه لأحايث الكشاف بقوله « أخرجه الحاكم والثعلبى من رواية الصنابجى عن معاوية رضى الله عنه وفيه قصة » (٦) وسنشير إليها قريباً ، وهو بذلك يقصد الرواية الأولى .

وذكر السخاوى رواية ثالثة نصها « ابن الذبيحين » وعلق عليها بقوله: « رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه من حديث عبد الله ابن محمد العتبى عن

(١) تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ ٥٤ .
(٢) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٣) المستدرك جـ٢ صـ ٥٥٤ .
(٤) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٤ ـ ١٤٥ ، تفسير ابن كثير جـ٤ صـ ١٨ .
(٥) الكشاف جـ٣ صـ ٣٥٠ ، التفسير الكبير جـ ٢٦ صـ ١٥٣ ، تفسير النيسابورى جـ٢٣ صـ٦٧ .
(٦) الكشاف جـ٤ هامش صـ ٥٦ .

الصنابحي قال : حضرنا مجلس معاوية إلخ ماورد فى الرواية الأولى .

وقال « وهكذا رواه ابن مردوية والثعلبى فى تفسيريهما ورواه الخلعى فى فوائده بزيادة والد العتبى بينه وبين الصنابحي ، وعند الزمخشرى فى الكشاف: « أنا ابن الذبيحين » [1] .

وقال العراقى فى هذا الحديث المروى فى الكشاف : لم أقف عليه وعلق الشهاب الخفاجى بقوله: فى مستدرك الحاكم عن معاوية بن أبى سفيان » ونص عليه ، وذكره القسطلانى فى المواهب ، والقاضى عياض فى الشفا ، وهذا يكفى لثبوته حديثا فإنه قوله وفعله وتقريره [2] .

أما صاحب « كشف الخفاء » الشيخ العجلونى فقد علق على رواية « أنا ابن الذبيحين » بقوله : « كذا فى الكشاف ، قال الزيلعى وابن حجر فى تخريج أحاديثه : لم نجده بهذا اللفظ ، وقال فى المقاصد : رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه ، وقال فى المواهب وشرحها للزرقانى وعند الحاكم فى المستدرك وابن جرير وابن مردويه والثعلبى فى تفاسيرهم عن معاوية بن أبى سفيان قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال : يارسول الله خلفت البلاد يابسة ، والماء يابسا ، وفى نسخة خلفت الكلأ يابسا ، وخلفت المال عابسا ، هلك المال وضاع العيال ، فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه » [3] .

وأشار العجلونى إلى مانقله الحلبى فى سيرته عن السيوطى أن هذا الحديث

---

(١) المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة صـ١٤ صححه وعلق حواشيه عبد الله محمد الصديق الناشر : مكتبة الخانجى ومكتبة المثنى بغداد ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى جـ صـ ٢٧٩ ، نسيم الرياض جـ ١ صـ ٤٩٠ ـ ٤٩١ .

(٣)الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس جـ ١ صـ ٢٣٠ مكتبة التراث الإسلامى / حلب .

غريب وفى إسناده من لايعرف [1] .

وانتهى إلى أن الحديث حسن ، بل صححه الحاكم والذهبى لتقويه بتعدد طرقه ، وفيه دليل على أن الذبيح إسماعيل [2] .

وقد عرض لهذه الرواية الإمام القسطلانى فى كتابه « المواهب اللدنية » وعلق عليها بقوله « ويعنى بالذبيحين عبد الله وإسماعيل بن إبراهيم ... فهو الذبيح الأول ، وإسماعيل الذبيح الثانى » [3] .

وقصة نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده مشهورة وردت فى كتب السيرة والتاريخ .

يذكر ابن إسحاق فيما رواه عنه كل من الطبرى وابن هشام وابن الأثير وابن كثير والبيهقي وغيرهم أن عبد المطلب كان قد نذر حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتونى ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها مايهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهى الأزلام التى يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور ، جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح

---

(١) القول الصحيح فى تعيين الذبيح صـ ٣٥ من الجزء الثانى من كتاب الحاوى للفتاوى .
(٢) كشف الخفاء صـ٢٣٠ راجع السيرة الحلبية جـ١ صـ٥٨ ــ ٥٩ .
(٣) المواهب اللدنية جـ١ صـ ١٧ .

على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ماتريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه إخوة عبد الله : والله لاتذبحه أبداً حتى نعذر فيه ، لئن فعلت هذا لايزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ .

ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجازفإن بها عرافة لها تابع ، فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة ، فوجدوا العرافة وهى سجاح ، بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم : كم الدية فيكم ؟ قالوا عشرة من الإبل ، وكانت كذلك ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه القداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم ، فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى ، رضى ربك ياعبد المطلب [1] .

(١) راجع تفاصيل هذه القصة فى تاريخ الطبرى جـ٢ صـ٢٤٠ ـ ٢٤٣ ، سيرة ابن هشام جـ١ صـ١٥١ ـ ١٥٥ تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ صـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ تحقيق د / أحمد أبو ملحم وآخرين نشر دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، السيرة النبوية لابن كثير جـ١ صـ١٧٤ ـ ١٧٦ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ٢ صـ٣ ـ ٤ نشر دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، دلائل النبوة للبيهقى جـ١ صـ٩٨ ـ ١٠١ تحقيق د / عبد المعطى قلعجى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

واستشكل بعض الناس أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة ، وقد كان تزويجه بهالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره ، فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب إنما ولدا بعد الوفاء بنذره ، وإنما كان أولاده عشرة بهما .

قال السهيلى : ولا إشكال فى هذا فإن جماعة من العلماء قالوا : كان أعمام النبى عليه السلام اثنى عشر .

فإن صح هذا فلا إشكال فى الخبر ، وإن صح قول من قال كانوا عشرة لايزيدون ، فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لامجازا ، فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين أوفى بنذره (١) .

ويقع أيضا فى بعض السير أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه عبد المطلب وهو غير معروف ، ولعل الرواية أصغر بنى أمه ، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله.

وروى عن العباس أنه قال : أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجىء به حتى نظرت إليه وجعل النسوة يقلن لى قبِّل أخاك فقبلته .

فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر ؟ .

ولكن رواه البكائى ولروايته وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس (٢) .

---

(١) المواهب اللدنية جـ١ صـ١٨ ـ ١٩ .

(٢) راجع المصدر السابق والسيرة الحلبية جـ١ صـ٥٨ والمسماة : إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون تأليف على بن برهان الدين الحلبى مكتبة مصطفى الحلبى / الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٢ ـ الروايات الموقوفة :

لقد سبق أن أشرت إلى أن هناك روايات موقوفة على بعض الصحابة والتابعين تفيد أن الذبيح إسحاق ، وأن القائلين بهذا القول قد استشهدوا بها ، وأشرت هناك أيضا إلى أن هؤلاء الصحابة والتابعين قد روى عنهم أن الذبيح إسماعيل فى روايات أخرى ، وقد وعدت القارئ أن أبين له ذلك .

فلنبدأ أولاً بالإمام ابن عباس رضى الله عنهما ، الذى يعتمد على قوله بالدرجة الأولى من يرى أن الذبيح إسحاق .

ذكر الإمام الطبرى ـ وهو من أشهر القائلين بأن الذبيح إسحاق ـ رواية عن الشعبى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ أنه قال : هو إسماعيل [١] .

ورواية أخرى عن ابن حميد .... عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن الذى أمر بذبحه إبراهيم هو إسماعيل .

ورواية ثالثة عن يعقوب .... عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : هو إسماعيل يعنى قوله تعالى : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

وذكر ثلاث روايات أخرى عن الشعبى بأسانيد مختلفة أنه قال : قال ابن عباس : الذى فداه الله بذبح عظيم : هو إسماعيل .

ورواية سابعة عن مجاهد عن ابن عباس قوله : هو إسماعيل .

ثم ذكر الطبرى رواية ثامنة عن ابن عباس يثبت فيها أن الذبيح إسماعيل ، ويكذب اليهود الذين يزعمون أنه إسحاق .

---

(١) ذكر الحاكم هذه الرواية فى كتابه المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه الجزء الثانى صـ٥٥٥ .

يقول : حدثني يونس بن عبد الأعلى ...عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله ابن عباس أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود [1] .

وقال السيوطى فى الدر المنثور « أخرج الفريابى وابن أبى شيبة ، وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه من طريق الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « الذبيح إسماعيل » [2] .

وقال السيوطى أيضا « أخرج أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

لما أمر إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام ، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات ، « ثم تله للجبين » وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض فقال : يا أبت ليس لى ثوب تكفنى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفنى فيه ، فعالجه ليخلعه ، فنودى من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالتفت فإذا كبش أبيض ، أعين ، أقرن ، فذبحه) [3] .

وجاء فى مسند الإمام أحمد أن شريحا ويونس قالا : حدثنا حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل بالبيت ، وأن ذلك سنة ؟ فأجابه عن ذلك وعن الطواف بكلام طويل .. ثم قال : قلت : ويزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة ، قال : صدقوا : إن إبراهيم لما

---

(١) تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٨ تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٣ المستدرك للحاكم جـ٢ صـ٥٥٥ ، راجع أيضا تفسير الثعالبي جـ ٤ صـ ٢٢ نسيم الرياض جـ ١ صـ ٤٩٠ .

(٢) الدر المنثور جـ٢٣ صـ ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق ، راجع أيضا القول الفصيح صـ ٣٥ .

أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة ، فعرض له شيطان ، قال يونس : الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات ، قال : قد تلّه للجبين ، قال يونس : وثَم تلّه للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، وقال : يا أبت ، إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه ، فنودى من خلفه (أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن ، أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نبيع هذا الضرب من الكباش » (١) .

وقد أورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير فى تفسيره من أول قوله « لما أمر إبراهيم بالمناسك » ناقلاً عن الإمام أحمد (٢) .

ورواه الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الحج باب رمى الجمار وعلق عليه بقوله « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات .

ورواه أيضا فى كتاب الأنبياء باب « فى ذكر إبراهيم الخليل وبنيه صلى الله على نبينا وعليهم وسلم » وعلق عليه أيضا بقوله « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى عاصم الغنوى وهو ثقة » وقد رواه فى الموضعين عن أبى الطفيل وأشار إلى أن هذا الحديث ورد من طريق آخر على أن الذبيح إسحاق وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط (٣) .

وهكذا فإن الروايات المأثورة عن الإمام ابن عباس فى أن الذبيح إسماعيل أثبت وأصح وأقوى من الروايات الأخرى والتى أشرنا إليها من قبل .

---

(١) المسند جـ٤ حديث رقم ٢٧٠٧ شرحه وصنع فهارسه أحمد شاكر ، وعلق على هذا الحديث بأن إسناده صحيح وقال : أبو عاصم الغنوى ثقة وثقه ابن معين ، وترجمه البخارى فى الكنى رقم ٥٢٧ وأشار إلى هذا الحديث كعادته فى إشاراته الدقيقة جـ٤ صـ ٢٤٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٥ .

(٣) مجمع الزوائد جـ٣ صـ٢٥٩ ، جـ٨ صـ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

ولذلك فإن الحافظ ابن كثير يذكر أن ابن عباس قد روى عنه فى تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل (١) .

وتحت عنوان « ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به » أشار إلى أنه قد تقدمت الرواية عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام ، ولكن روى عن سعيد بن جبير وعامر الشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام (٢) .

هذا فيما يتعلق بابن عباس رضى الله عنهما ، فكذلك الأمر فيما يتعلق بالإمام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

فقد ذكر الطبرى رواية عن مجاهد عن ابن عمر أنه قال : الذبيح إسماعيل (٣) ..

وجاء فى الدر المنثور « أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال : إسماعيل ذبح عنه إبراهيم الكبش (٤) .

وممن قال من الصحابة أيضا وكان من بنى إسرائيل الصحابى عبد الله بن سلام الذى كان من أحبار اليهود ثم هداه الله للإسلام فأسلم .

أخرج الحاكم من طريق عطاء بن يسار رضى الله عنه عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : الذبيح إسماعيل (٥) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٥ .

(٢) المصدر السابق صـ١٧ .

(٣) تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٧ ، تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ٥٣ .

(٤) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٥ .

(٥) المستدرك للحاكم جـ٢ صـ٥٥٦ ، الدر المنثور جـ٢٣ صـ ١٠٦ .

وأخرج عبد بن حميد من طريق الفرزدق الشاعر قال : رأيت أبا هريرة رضى الله عنه يخطب على منبر رسول الله ﷺ يقول : إن الذى أمر بذبحه إسماعيل (1) .

وبذلك فإن القول الصحيح المأثور عن الصحابة هو أن الذبيح إسماعيل ، وإذا كان قد روى عن بعضهم أنه إسحاق فى نفس الوقت الذى روى عنهم أنه إسماعيل فإن الحافظ ابن كثير بعد أن عدد أسماء الصحابة الذين ورد عنهم أن الذبيح إسحاق بما فيهم ابن عباس ، ذكر أن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أن الذبيح إسماعيل (2) .

وكذلك الإمام البقاعى فى تفسيره بعد أن أشار إلى أسماء الصحابة القائلين بأن الذبيح إسحاق ومنهم الصحابيان : عمر بن الخطاب ، والعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ، علق على ذلك بقوله :

« فعلم من هذا رجحان القول بأنه إسماعيل ، لأن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما تأخرا بعد من ذكر من أكابر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

فلولا أنه رجح عندهما ماخالفا أبويهما ، ونقل عكرمة عن ابن عباس بموافقة أبيه لايقدح فى ذلك ، بل يؤيده لأن الأكثر كما ترى رووا عنه الثانى .

فلولا أنه صح عنده ما رجع عن الأول الذى هو موافق لرأى أبيه ، ولأجل ثباته عليه اشتهر عنه » (3) .

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب أيضا شيخنا الدكتور محمد حسين الذهبى ، حيث ذكر أن الروايات الموقوفة على الإمام ابن عباس رضى الله عنهما ، والتى

---

(1) الدر المنثور جـ23 صـ 106 - 107 .

(2) قصص الأنبياء جـ1 صـ144 .

(3) نظم الدرر جـ 16 صـ 278 .

تفيد أن الذبيح هو إسحاق ـــ على فرض أنها صحيحة الأسانيد ـ فإنها محمولة على أن ماتضمنته من أن الذبيح هو إسحاق ، كان رأى ابن عباس فى أول الأمر لأنه سمع ذلك من بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون فى مثل هذا بما سمعوه من كعب وغيره من مسلمى اليهود .

ثم علم بعد ذلك أن ذلك قول اليهود فرجع عنه ، وصرح بنقيضه ، كما قال ابن جرير « حدثنى يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى عمر بن قيس عن عطاء ابن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود » [1] .

وينتهى الدكتور الذهبى إلى أن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس وأن إسناده على شرط الصحيح ، وهو صريح فى تكذيب اليهود فيما زعموه ، ويقضى على كل أثر بخلافه وأنه بهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس فى هذا الباب [2] .

هذا فيما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما فيما يتعلق بالتابعين وتابعيهم ، فقد أخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قالا : الذى أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه هو إسماعيل عليه السلام [3] .

وأخرج ابن جرير عن الشعبى ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد ابن كعب القرظى أن الذبيح إسماعيل [4] .

وأورد الطبرى أيضا عن ابن حميد بسنده عن الحسن عن أبى الحسن البصرى أنه كان لايشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى إبراهيم إسماعيل [5] .

(١) التفسير والمفسرون جـ١ صـ ١٦٢ .
(٢) المصدر السابق جـ١ صـ ١٦٢ ـــ ١٦٣ .
(٣) الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٥ .
(٤) راجع تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ ٥٣ ، تاريخ الطبرى صـ٢٦٩ .
(٥) تاريخ الطبرى جـ١ صـ ٢٧٠ ، تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ ٥٣ .

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال : قلت لابن المسيب: « وفديناه بذبح عظيم » هو إسحاق ؟ قال : معاذ الله .. ! ولكنه إسماعيل عليه السلام ، فثوب بصبره إسحاق إشارة إلى قوله تعالى عقب قصة الذبيح : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ [1] .

وجاء فى المستدرك للحاكم بسنده عن عبد الله الواقدى قال : قد اختلف علينا فى إسماعيل وإسحاق أيهما أراد إبراهيم أن يذبح وأين أراد ذبحه بمنى أم ببيت المقدس فكتبت كلما سمعت من ذلك من أخبار الحديث .

فحدثنى ابن أبى سبرة عن أبى مالك من ولد مالك الدار وكان مولى لعثمان ابن عفان عن عطاء بن يسار قال :

سألت خوات بن جبير الأنصارى عن ذبيح الله أيهما كان فقال : إسماعيل [2] .

هذا وقد اختلفت الرواية عن الإمام أحمد فى رأيه عن الذبيح من هو من ولدى الخليل ، لكن الأرجح والصحيح عنه أنه قال:إن الذبيح إسماعيل .

يذكر الإمام ابن تيمية أن أبا يعلى ذكر فى ذلك روايتين عن أحمد ، ونصر أنه إسحاق اتباعاً لأبى بكر بن عبد العزيز ، وأبو بكر اتبع محمد بن جرير ، ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزى أن أصحاب أحمد ينصرون أنه إسحاق ، وإنما ينصره هذان ومن اتبعهما ويحكى ذلك عن مالك نفسه ، لكن خالفه طائفة من أصحابه .

وذكر الشريف أبو على بن أبى يوسف : أن الصحيح فى مذهب أحمد أنه إسماعيل ، وهذا هو الذى رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه قال : مذهب أبى أنه إسماعيل [3] .

---

(١) الدر المنثور جـ٢٣ صـ ١١٥ . (٢) المستدرك جـ٢ صـ٥٥٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٤ صـ٣٣١ ، راجع أيضا زاد المسير لابن الجوزي جـ ٧ صـ ٧٣ .

وجاء فى تفسير ابن كثير أن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال : سألت أبى عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : إسماعيل ذكره فى كتاب الزهد [1] .

وذكر الخطيب الشربينى عن الإمام أحمد أنه قال : الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف [2] .

ثانياً : الحجج العقلية القائمة على الاستنباط من القرآن والسنة والتاريخ :

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسماعيل على حجج عقلية ، استنبطوها من آيات القرآن الكريم ، ومن بعض الأحاديث النبوية ، واستخرجوها أيضا من وقائع التاريخ ودلائل الأحداث :

الحجة الأولى : كون البشارة بإسحاق مغايرة للبشارة بالذبيح :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل بما ورد فى قصة الذبيح المذكورة فى سورة « الصافات » .

ففى هذه القصة بشر الله سبحانه خليله إبراهيم بالذبيح فقال تعالى : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ وذكر قصته أولاً ﴿ **فلما بلغ معه السعى قال : يابنى إلى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى * قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ...** ﴾ [3] فلما استوفى ذلك قال :

﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ [4] .

فبين تعالى أنهما بشارتان : بشارة الذبيح ، وبشارة ثانية بإسحاق .

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٨ .　　(٢) السراج المنير جـ ٣ صـ ٣٨٦ .

(٣) الصافات : ١٠١ ، ١٠٢ .　　(٤) الصافات : ١١٢ .

فالله سبحانه لم يذكر قصة الذبيح فى القرآن إلا فى هذا الموضع ، أما فى سائر المواضع فإنه يذكر البشارة بإسحاق خاصة ، كما فى سورة هود : يقول تعالى ﴿ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ (1) .

وفى سورة الذاريات : يقول تعالى ﴿ **فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم** ﴾ (2) .

وفى سورة الحجر يقول تعالى : ﴿ **قالوا لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم** ﴾ (3) .

وفى كل هذه المواضع لم يذكر سبحانه أن هذا المبشر به هوالذبيح ، ثم إنه تعالى لما ذكر البشارتين جميعاً : البشارة بالذبيح والبشارة بإسحاق بعده ، كان هذا من الأدلة على أن إسحاق ليس هو الذبيح ، وأن المذكور فى قصة الذبيح هو إسماعيل فدل على أنه هو الذبيح .

ويؤيد ذلك أنه ذكر هبة إسحاق وهبة يعقوب لإبراهيم فى قوله تعالى: ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب * كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل** ﴾ (4) .

وفى قوله تعالى : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين** ﴾ (5) وفى قوله تعالى : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب** ﴾ (6) ولم يذكر الله سبحانه فى هذه الآيات قصة الذبيح.

وبذلك فإن قصة الذبيح تحتوى على بشارتين : الأولى عن الذبيح والثانية عن إسحاق بعد الانتهاء من قصة الذبيح الذى هو إسماعيل (7) .

ويرى الإمام ابن القيم أن البشارة الثانية كانت لإبراهيم من الله تعالى شكراً

---

(1) هود : ٧١ . (2) الذاريات : ٢٨ . (3) الحجر : ٥٣ .
(4) الأنعام : ٨٤ . (5) الأنبياء : ٧٢ . (6) العنكبوت : ٢٧ .
(7) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٤ صـ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

على صبره على ما أمر به ، حيث شكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق ، فنجى إسماعيل من الذبح وزاد عليه إسحاق .

وهذا ظاهر جداً فى أن المبشر به غير الأول ، بل هو كالنص فيه [1] .

وقد استدل كثير من المفسرين بهذا الاستدلال على أن الذبيح إسماعيل .

يرى الحافظ ابن كثير أن ذكر البشارة بغلام حليم ، وأن هذا الغلام هو الذبيح ، ثم البشارة بعد ذلك بإسحاق ، أكبر شاهد وخير مرشد من كتاب الله تعالى إلى أن الذبيح إسماعيل [2] .

ويذكر كل من أبى السعود والبيضاوى والألوسى وغيرهم أن الأظهر والأشهر أن المخاطب فى قوله تعالى على لسان إبراهيم:﴿ **قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ هو إسماعيل عليه السلام ، لأنه هو الذى وهب له إثر الهجرة أو المهاجرة ، ولأن البشارة بإسحاق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام والعطف يقتضى التغاير ، فيتعين كونه إسماعيل [3] .

ويرى الشيخ الشنقيطى أن عطف قوله تعالى:﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ على البشارة الأولى فى قصة الذبيح ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ دل على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به فى الثانية لأنه لايجوز حمل كتاب الله على أن معناه : فبشرناه بإسحاق ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا : وبشرناه بإسحاق ، فهو تكرار لافائدة فيه ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح فى أن الغلام المبشر به أولاً الذى فدى بالذبح العظيم ، هو إسماعيل ، وأن البشارة

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ١ صـ ٧٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ ١٤ .

(٣) تفسير أبى السعود جـ٤ صـ ٢٠٠ ، تفسير البيضاوى جـ٢ صـ٢٩٧ ، روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٣ ـ ١٣٤ .

بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك .

وذكر أن المقرر فى الأصول أن النص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً ، وجب حمله على التأسيس ولايجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه .

ومعلوم فى اللغة العربية ، أن العطف يقتضى المغايرة ، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق .

وانتهى إلى أنه لاينبغى للمنصف الخلاف فى ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك [1] .

محاولات الطبرى والقرطبى النيل من هذه الحجة والرد عليهم :

وقد حاول كل من الطبرى والقرطبى أن ينالا من هذه الحجة الباهرة يذكر الطبرى أن اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد إبراهيم بقوله : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيا** ﴾ .

ولو كان المفدى هو إسحاق لم يبشر به بعد وقد ولد وبلغ معه السعى .

فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدى تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح [2] .

ويفسر القرطبى ذلك بقوله : إن البشارة كانت بإسحاق مرتين : الأولى بولادته والثانية بنبوته جزاء على صبره ورضاء بأمر ربه واستسلامه له [3] .

---

(١) راجع الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن جـ٦ صـ٦٩١ - ٦٩٣ طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ ٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ١٥ صـ ١١٢ .

وقد انبرى الإمام ابن القيم للرد على هذه المحاولة بقوله :

« فإن قيل : فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أى : لما صبر الأب على ما أمر به ، وأسلم الولد لأمر الله ، جازاه الله على ذلك :

قلنا : البشارة وقعت على المجموع ، على ذاته ووجوده ، وأن يكون نبياً ، ولهذا نصب « نبياً » على الحال المقدر ، أى : مقدراً نبوته ، فلا يمكن إخراج البشارة ، أن تقع على الأصل .

ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة .

هذا محال من الكلام ، بل إذا وقعت البشارة على نبوته ، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى [1] .

ويذكر الألوسى أن قولهم بأن الأولى بشارة بالوجود ، والثانية بشارة بالنبوة قول ضعيف [2] لأن نظم الآية لايدل على أن البشارة بنبوته ، بل على أن البشارة بأمر مقيد بالنبوة ، فإما أن يقدر بوجود إسحاق بعد الذبح ولا دلالة فى اللفظ عليه ، وإما أن يقدر الوجود مطلقا وهو المطلوب .

ثم يخاطب من يذهب مذهب الطبرى بقوله :

فإن قلت : يكفى فى الدلالة تقدم البشارة بالوجود أولاً ، قلت : ذاك عليك لا لك ، ومن يسلم أن المتقدم بشارة بإسحاق حتى يستتب لك المرام [3] .

والحقيقة أن هذه الحجة التى استدل بها الفريق الثانى على أن الذبيح إسماعيل تعد من الحجج القوية والدلائل الظاهرة التى استنبطوها من آيات القرآن الكريم .

---

(١) زاد المعاد جـ١ صـ٧٣ .

(٢) نقل عن صاحب « الكشف » .

(٣) روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٤ .

حيث بشر الله سبحانه إبراهيم بإسحاق عقب انتهائه من حكاية قصة الذبيح الذى بشر به فى بدايتها ، فلو كان الذبيح إسحاق لم يكن الله سبحانه حكى عن البشارة به بقوله (وبشرناه بإسحاق) ولكان قد قال : (وبشرناه به نبياً من الصالحين) بناء على أن البشارة الثانية هنا بشارة بالنبوة كما يزعمون .

ولكن كونه يذكر إسحاق بالاسم الظاهر دون أن يأتى بالضمير ، فإن ذلك يدل دلالة قاطعة على أن إسحاق هو غير المبشر به فى القصة السالفة « قصة الذبيح » .

يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن الإتيان بالبشرى بإسحاق بعد ذكر القصة صريح فى أن إسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله إبراهيم بذبحه ، وعود الضمير إلى الغلام الذبيح ، وذكر اسم إسحاق صريحاً يقتضى التغاير بين الذبيح وإسحاق (١) .

ويرى الدكتور على عبد الواحد وافى أن تسلسل القصة فى القرآن الكريم على هذا النسق يكاد يكون دليلاً قاطعاً على أن الغلام الحليم الذى كان موضعاً لهذا الابتلاء الإلهى هو غير إسحاق (٢) .

الحجة الثانية : اقتران البشارة بإسحاق بالبشارة بابنه يعقوب :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل أيضا بقوله تعالى عن سارة ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ (٣) .

حيث قالوا : لو كان الذبيح إسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك .

(١) قصص الأنبياء صـ١٣٤ ، راجع أيضا تعليقه على ما ذكر فى دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ صـ ٩٧ .

(٢) بحوث فى الإسلام والاجتماع صـ ١٤١ .

(٣) هود : ٧١ .

فالأول باطل لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق ، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب ، فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه ، وإلا حصل الخلف فى قوله تعالى : ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

والثانى باطل لأن قوله تعالى : ﴿ **فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعى ووصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه وذلك ينافى وقوع هذه القصة فى زمان آخر ، فثبت أنه لايجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق [1] .

هذا هو التصوير الرائع من الفخر الرازى لهذه الحجة وذلك الاستدلال ، ويلاحظ أن هذا الاستدلال قد ذكرته حينما قمت بإبطال قول اليهود بأن إسحاق هو الذبيح ، واستشهدت هناك بما هو وارد فى أسفارهم من بشارة إبراهيم بإسحاق ، وبأن إسحاق سيكون منه نسل حيث سينجب يعقوب .

غاية ما فى الأمر أننا هنا نستشهد بالقرآن الكريم ، ونحتج بما ورد فيه ، وما يستنبط من آياته ، على من يقول من المسلمين أن الذبيح إسحاق .

وقد استدل كل من الإمامين : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بهذه الحجة .

فابن تيمية يقول : ومما يدل على أن الذبيح ليس هو إسحاق أن الله تعالى قال : ﴿ **فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه ؟[2]

والبشارة بيعقوب تقتضى أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب .

ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب ، بل يعقوب

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ٢٦ صـ١٥٤ .

راجع أيضا الزمخشرى فى الكشاف جـ٣ صـ٣٥٠ والألوسى فى روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٤ .

إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام ، وقصة الذبيح كانت فى حياة إبراهيم بلاريب [1] .

أما ابن القيم فقد صاغها بقوله : « وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى ﴿ **لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ [2] .

فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ، ثم يأمر بذبحه .

ولاريب أن يعقوب عليه السلام داخل فى البشارة ، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب فى اللفظ واحد ، وهذا ظاهر من الكلام وسياقه [3] .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن القائلين بأن إسماعيل هو الذبيح استدلوا بهذه الآية ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ حيث يمتنع أن يكون هو إسحاق ، لأنه وقعت البشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده .

ووعد الله حق لاخلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فتعين أن يكون هو إسماعيل .

ويعقب على هذا الاستدلال بقوله :

« وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه ولله الحمد » [4] .

ويبدو أن هذا الاستدلال قد دار بخلد محمد بن كعب القرظى لأول مرة :

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية جـ٤ صـ٣٣٥ ، منهاج السنة النبوية جـ ٥ صـ ٣٥٣.

(٢) هود : ٧٠ ، ٧١ .

(٣) راجع زاد المعاد جـ١ صـ٧٢ إغاثة اللهفان جـ٢ صـ٣٤٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٤ ، قصص الأنبياء جـ١ صـ٤٥٢ .

يقول ابن كثير : « وما أحسن ما استدل به ابن كعب القرظى على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

قال : فكيف تقع البشارة بإسحاق ، وأنه سيولد له يعقوب ، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له ؟ [1] .

وقد أورد الطبرى ــ وهو كما سبق من القائلين بأن الذبيح إسحاق ــ فى تفسيره وتاريخه عن ابن حميد ... عن ابن إسحاق قال : سمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول : إن الذى أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنيه : إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل ، وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى إبراهيم قال : ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ ويقول : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ يقول : بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله ، وما الذى أمر بذبحه إلا إسماعيل [2] .

وذكر الطبرى أيضا عن ابن حميد عن ابن إسحاق ... عن محمد بن كعب القرظى أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، إذ كان معه بالشام فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإنى لأراه كما هو ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه فقال :

---

(١) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٣ .

(٢) تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٤ تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٦٩ ــ ٢٧٠ .

راجع أيضا الدر المنثور للسيوطى حيث ذكر أن هذه الرواية أخرجها عبد بن حميد وابن جرير والحاكم جـ٢٣ صـ١٠٦ .

راجع أيضا المستدرك للحاكم جـ٢ صـ٥٥٥ ووافقه الذهبى فى التلخيص نفس الصفحة .

إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم (١) .

اعتراض ودفعه :

هذا وقد اعترض السهيلى على هذا الاستدلال ـ الذى استدل به محمد بن كعب القرظى ، ونقله عنه كثير من العلماء كما بيّنا ـ بما حاصله أن قوله ﴿ **فبشرناها بإسحاق** ﴾ جملة تامة .

وقوله ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ جملة أخرى ليست فى حيز البشارة .

قال : لأنه لايجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً إلا أن يعاد معه حرف الجر ، فلا يجوز أن يقال : مررت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال : ومن بعده بعمرو .

وقال : فقوله : ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره « ووهبنا لإسحاق يعقوب » (٢) .

وقد أورد هذا الاعتراض من السهيلى الحافظ ابن كثير ، ولكنه لم يرد عليه بأكثر من قوله « وفى هذا الذى قاله نظر » (٣) .

---

(١) تفسير الطبرى جـ٢٣ صـ٥٤ تاريخ الطبرى جـ١ صـ٢٧٠ ، تفسير الثعالبى جـ ٤ صـ ٢٢ .
راجع أيضا الزمخشرى فى الكشاف جـ٣ صـ٣٥٠ ، الألوسى : روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٥ ، الدر المنثور جـ٢٣ صـ١٠٧ ، راجع أيضا تفسير ابن كثير جـ٤ صـ١٨ .

(٢) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٤ راجع أيضا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ٢ صـ١١ - ١٢ .

(٣) قصص الأنبياء جـ١ صـ١٤٤ .

ولكن الإمام ابن القيم أورد هذا الاعتراض بهذه الصيغة :

« فإن قيل : لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجروراً عطفاً على إسحاق ، فكانت القراءة « ومن وراء إسحاق يعقوب » أى : ويعقوب من وراء إسحاق » .

ويرد عليه بقوله : « لايمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به ، لأن البشارة قول مخصوص ، وهى أول خبر سار صادق .

وقوله تعالى:﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ جملة متضمنة لهذه القيود ، فتكون بشارة ، بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية ، ولما كانت البشارة قولاً ، كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول .

كأن المعنى : وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب .

والقائل إذا قال : بشرت فلانا بقدوم أخيه ، وثَقَله فى أثره لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعاً .

هذا مما لايستريب ذو فهم فيه البتة .

ثم يضعف الجر أمر آخر : وهو ضعف قولك : مررت بزيد ومن بعده عمرو ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجرّ ، فلايفصل بينه وبين المجرور ، كما لايفصل بين حرف الجار والمجرور [(١)] .

اعتراض آخر ودفعه :

وقد حاول كل من الطبرى والقرطبى أيضا أن يعترضا على هذا الاستدلال وينالا من قوته .

---

(١) زاد المعاد جـ١ صـ ٧٢ ـ ٧٣ .

فذكر الطبرى أن اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته وولادة يعقوب منه من بعده ، علته غير موجبة صحة ما قال ، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعى .

وجائز أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه [1] .

وأما القرطبى فإنه يذكر أنه يحتمل أن يكون المعنى : وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان .

ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب .

ثم يبالغ القرطبى فى القول فيذكر أنه لم يرد فى القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق [2] .

ومن الواضح أنهما كما سبق أن قلت يحاولان بشتى السبل أن يطوعا آيات القرآن الكريم ، حتى توافق ماذهبا إليه من اعتقادهما أن الذبيح إسحاق ، ويتجاهلان كل هذه الحجج القوية التى ترجح بل تقطع أن الذبيح إسماعيل حتى اضطرا إلى أن يفترضا افتراضات لا أساس لها مثل كون ولادة يعقوب من إسحاق قبل الذبح .

ولو كان الأمر كذلك لأدى إلى تقليل قيمة الفداء والتضحية حيث يكون ابن الابن عوضاً عن أبيه ، ثم إن اليهود أنفسهم ماقالوا بذلك ، فلماذا الاضطرار إلى هذا الافتراض العجيب ؟ ! ! .

يذكر الألوسى أنه متى بشر بالولد وولد الولد دفعة كيف يتصور الأمر بذبح الولد مراهقا قبل ولادة ولده ، ويرى أن منع كونه إذ ذاك مراهقا لجواز أن يكون

(١) تاريخ الطبرى جـ١ صـ ٢٧١ ، تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ٥٥ .

(٢) تفسير القرطبى جـ١٥ صـ ١٠١ .

بالغا كما ذهب إليه اليهود قد ولد له يعقوب وغيره مكابرة لايلتفت إليها [1] .

ويبين ابن كثير أن ماعول عليه ابن جرير فى اختياره أن الذبيح إسحاق واعتمد عليه في تفسيره ، ليس إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو بعيد جداً وانتهى إلى أن ما استدل به محمد بن كعب القرظى ــ وأشرت إليه آنفا ــ أثبت وأصح وأقوى [2] .

ثم إن الإمام ابن تيمية قد ذكر أنه لاخلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب ، ويؤكد على أن يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليهما السلام ، وأن قصة الذبيح كانت فى حياة إبراهيم بلاريب [3] .

وعلى فرض أننا تركنا كلام الإمام ابن تيمية رغم صحته ، وأخذنا بماورد فى سفر التكوين كنوع من الاحتجاج عليهم ، حيث إنهم قد رأوا أن الذبيح إسحاق ، ومن حججهم أن عليه أهل الكتابين كما سبق أن ذكر القرطبى وأشرت إليه فى حينه .

فلو رجعنا إلى سفر التكوين لوجدنا أن إبراهيم مات وكان عمره مائة وخمساً وسبعين سنة [4] وأنجب إسحاق وعمرة مائة سنة [5] وتزوج إسحاق وعمره أربعون عاماً [6] وأنجب إسحاق يعقوب وهو فى الستين من عمره [7] .

معنى ذلك أن إسحاق أنجب يعقوب بعد أن تزوج بعشرين عاماً حيث كانت زوجته عاقراً حتى فتح الله رحمها كما ورد فى السفر [8] .

---

(١) روح المعانى جـ٢٣ صـ١٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ صـ١٨ ، يذكر أبو حيان أن هذا الاستدلال من أقوى مايستدل به على أن الذبيح إسماعيل فلو كان الذبيح إسحاق لكان ذلك الإخبار غير مطابق للواقع وهو محال فى إخبار الله تعالى . البحر المحيط جـ٧ صـ٣٧١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ٤ صـ٣٣٥ .

(٤) تكوين ٢٥ : ٧ .　(٥) تكوين ٢١ : ٥ .　(٦) تكوين ٢٥ : ٢٠ .

(٧) تكوين ٢٥ : ٢٦ .　(٨) تكوين ٢٥ : ٢١ .

وبيت القصيد أن إسحاق لم ينجب يعقوب إلا بعد أن بلغ الستين من عمره وسواء مات إبراهيم قبل أن ينجب إسحاق يعقوب كما يذكر الإمام ابن تيمة ، وهو ما أميل إليه وأرجحه ، وسواء أنجب يعقوب فى حياة جده كما ذكر السفر وكان عمره مائة وستين عاماً كما هو مستنبط من السفر أيضاً ، وإن كان السفر لم يرد فيه مطلقاً أن إبراهيم قد عاصر إنجاب يعقوب ، أو علم بإنجابه فعلاً ، لكنى استنبطت أن عمره كان مائة وستين عاماً من التواريخ المذكورة فى السفر ، المهم أن يعقوب ولد وعمر إسحاق ستون عاماً ، وليس كما ذكر القرطبى فى زعمه المذكور .

الحجة الثالثة : البشارة بالذبيح كانت إجابة لدعاء الخليل والبشارة بإسحاق كانت له ولزوجته تعجباً منها :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل أيضا بما حكى الله تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما قال : ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ (١) ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به فى غربته فقال : ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ (٢) .

وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد ، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد ، لأن طلب الحاصل محال ، وقوله : ﴿ **هب لى من الصالحين** ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد ، فثبت أن السؤال لا يحسن إلا عند كل الأولاد ، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول .

وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم فى الوجود على إسحاق ، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل .

(١) الصافات : ٩٩ .

(٢) الصافات : ١٠٠ .

ثم إن الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل [1] .

وقريب مما ذكره الإمام الرازى تحدث عنه الإمام السبكى ، وإن كان قد زاد عليه وفصل ، ولذلك فإنه يذكر أنه لم يُسبق إليه .

أورد الإمام السيوطى فى كتابه « الإكليل » عن الإمام السبكى [2] وذكر أنه نقل عنه من خطه :

تكلم الناس فى أن الذبيح إسماعيل أو إسحاق .

رجح جماعة أنه إسماعيل ، واحتجوا له بأدلة منها : وصفه بالحلم ، وذكر البشارة بإسحاق بعده ، والبشارة بيعقوب من وراء إسحاق ، وغير ذلك .

وبين أن هذه الاستدلالات ظنية لاقطعية في نظره .

أما هو فقد تأمل القرآن كما يقول فوجد فيه مايقتضى القطع أو يقرب منه ، ويذكر أنه لم يرمن سبقه إلى استنباطه :

وهذا الاستنباط يتمثل فى أن البشارة بمولود جاءت فى القرآن الكريم مرتين :

---

(1) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٢٦ صـ١٥٤ .

(2) ذكر العلامة الشيخ القاسمى فى تفسيره « محاسن التأويل » رأى السبكى على أنه رأى للسيوطى ولم يتنبه إلى قول السيوطى أنه نقل ذلك من خط السبكى فقال القاسمى : « وقال السيوطى فى « الإكليل » .... جـ١٤ صـ١٢٥ .

وكذلك فعل الأستاذ الدكتور / محمد بيومى مهران حيث نقل هذا الرأى فى كتابه « دراسات تاريخيه من القرآن الكريم صـ١٧٤ ـ ١٧٥ على أنه رأى السيوطى وذكر أن المرجع فى ذلك رسالة السيوطى « القول الفصيح فى تعيين الذبيح » مع نقله من القاسمى .

وجدير بالذكر أن السيوطى لايرجح كون الذبيح إسماعيل ، بل إنه فى رسالته « القول الفصيح فى تعيين الذبيح » عرض لرأى الفريقين ثم انتهى إلى التوقف فى هذه المسألة بعد أن أشار إلى أنه كان قد مال إلى القول بأن الذبيح إسحاق فى التفسير .

راجع القول الفصيح صـ٣٩ ضمن كتاب الحاوي للفتاوى جـ٢ .

المرة الأولى فى قوله تعالى: ﴿ **إنى ذاهب إلى ربى سيهدين** ﴾ .

فهذه الآية قاطعة فى أن هذا المبشر به هو الذبيح .

ويقصد السبكى بأن قصة الذبيح قد وردت عقب قوله تعالى: ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى .... إلخ الآيات .

وإما المرة الثانية فقد وردت فى قوله تعالى: ﴿ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ (١) .

حيث صرح فيها بأن المبشر به إسحاق ، وأن البشارة به لم تكن من سؤال إبراهيم عليه السلام ، بل قالت امرأته إنها عجوز وأنه شيخ .

ويقصد بذلك ماورد فى قوله تعالى : ﴿ **قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ، إن هذا لشىء عجيب** ﴾ (٢) .

ثم يضيف الإمام السبكى أن هذه البشارة بإسحاق كانت فى الشام ، حينما جاءت الملائكة إلى إبراهيم بسبب قوم لوط وهو فى أواخر أمره .

وأما البشارة الأولى فقد كانت حينما انتقل من العراق إلى الشام ، حيث كان سنه لايستغرب فيه الولد ، ولذلك سأله .

وينتهى الإمام السبكى إلى القول بأننا قد علمنا بذلك أنهما بشارتان حيث وردتا فى وقتين مختلفين بغلامين مختلفين :

إحداهما بغير سؤال وهو إسحاق وقد صرح باسمه .

والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره ، فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح (٣) .

---

(١) هود : ٧١ . (٢) هود : ٧٢ .

(٣) الإكليل صـ ١٨٣ .

وذكر البقاعى فى تفسيره « نظم الدرر » فى معرض استدلاله على أن الذبيح إسماعيل أن هذا =

ولاريب أن ما استدل به الإمام السبكى وما استنبطه من آيات القرآن الكريم هو من أقوى الحجج ، وأسطع البراهين على أن الذبيح إسماعيل بما يتضمنه من احتجاج مقنع ، وتحقيق دقيق .

ولاشك أيضا أن ماذكره الإمام الرازى قريب مما توصل إليه السبكى ، واستخرجه من آيات القرآن .

بل إننى حين راجعت فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وإغاثة اللهفان لتلميذه الإمام ابن القيم ، وجدتهما قد ذكرا هذا الاستدلال ، وإن كان بصيغة مختلفة بعض الشيء ، وسوف يدرك القارئ ذلك بكل وضوح حين يطلع على كلامهما وخاصة كلام الإمام ابن القيم .

يذكر الإمام ابن تيمية أن مما يستدل به على أن الذبيح إسماعيل هو أن البشارة بإسحاق كانت معجزة ، لأن العجوز عقيم ، ولهذا قال الخليل عليه السلام : ﴿ **أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون** ﴾ [(١)] .

وقالت امرأته ﴿ **أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب** ﴾ [(٢)] .

وأضاف بأن البشارة بإسحاق كانت فى حالة الكبر ، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته ، وأما البشارة بالذبيح فكانت لإبراهيم عليه السلام وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة به .

وهذا مما يوافق ما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الصحيح وغيره : من أن إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة ، فذهب إبراهيم بإسماعيل

= الدعاء عند الهجرة ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ حيث كان شابا يرجو الولد وهو بكره الذى ولد له بهذه البشرى ، وأما إسحاق عليه السلام فأتته البشرى فجاءة وهو لا يرجو الولد لكبره ويأس امرأته وكذلك راجع فى أمره انظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور جـ ١٦ صـ ٢٦٢ .

(١) الحجر : ٥٤ .   (٢) هود : ٧٢ .

وأمه إلى مكة (١) .

وهناك أمر بالذبح .

وهذا مما يؤيد أن هذا هو الذبيح دون ذلك (٢) .

ومن الواضح أن هذا الاستدلال قريب جداً مما استدل به الإمام السبكى .

أما كلام الإمام ابن القيم فهو أكثر قرباً ، وأشد اتصالاً بكلام السبكى حيث يذكر أن إبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سأل ربّه الولد ، فأجاب الله دعاءه ، وبشره ، فلما بلغ معه السعى أمره بذبحه .

قال تعالى ﴿ **وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم** ﴾ (٣) .

فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولداً ، وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعا بنص القرآن .

وأما إسحاق فإنما بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لايولد له ، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة ، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه ، قال تعالى : ﴿ **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رءا أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ (٤) .

---

(١) سوف نشير إلى حديث البخارى عن ابن عباس فى ذهاب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة ضمن الحجة الخامسة والأخيرة للفريق الثانى .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٤ صـ ٣٣٥ .

(٣) الصافات : ٩٩ ـ ١٠١ . (٤) هود : ٦٩ ـ ٧٣ .

وينتهى الإمام ابن القيم إلى القول بأن من يتأمل سياق هذه البشارة ، وتلك ، يجدهما بشارتين متفاوتتين مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى .

والبشارة الأولى كانت له ، والثانية كانت لها والبشارة الأولى هى التى أمر بذبح من بشر به فيها دون الثانية (١) .

هذا وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى مثل هذا الكلام فذكر أن البشارة بإسحاق كانت بمحضر سارة أمه ، وقد جعلت هى المبشرة فى قوله تعالى : **﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب ﴾** .

فتلك بشارة كرامة .

أما البشارة الأولى فكانت بشارة استجابة لدعاء الخليل عليه السلام ، فلما ولد له إسماعيل تحقق أمه فى أن يكون له وارث من صلبه ، فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين عطفت هنا بفاء التعقيب وبشارته بإسحاق ذكرت في هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة علي القصة (٢) .

الحجة الرابعة : وصف الذبيح بأنه غلام حليم ووصف إسحاق بأنه غلام عليم :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل بما ورد فى سورة « الصافات » حيث وصف الله سبحانه الذبيح بأنه غلام حليم ، وحينما ذكر البشارة بإسحاق وصف المبشر به بأنه غلام عليم فى غير هذا الموضع فقال تعالى :

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ ٢ صـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٣ صـ ١٤٩ .

﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم ﴾ [1] .

والتخصيص لابد له من حكمة .

وهذا مما يقوى اقتران الوصفين ، والحلم هنا مناسب للصبر الذى هو خلق الذبيح .

وكذلك فإن إسماعيل قد وصف بالصبر فى قوله تعالى : **﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾** [2] .

وهذا أيضا وجه ثالث ، فإنه قال فى الذبيح :

﴿ يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ [3] .

وقد وصف الله سبحانه إسماعيل بأنه من الصابرين .

ووصف الله إسماعيل أيضا بصدق الوعد فى قوله تعالى : **﴿ إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا ﴾** [4] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به .

وإذا كان الله سبحانه قد وصف إسماعيل بالصبر وصدق الوعد ، ولم يصف سبحانه إسحاق بشىء منهما فيكون إسماعيل هو الأنسب دونه بأن يكون هو القائل لأبيه الخليل **﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾** [5] أى المصدق قوله بفعله .

---

(١) الذاريات : ٢٤ ـ ٢٨ .　　(٢) الأنبياء : ٨٥ .

(٣) الصافات : ١٠٢ .　　(٤) مريم : ٥٤ .

(٥) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٤ صـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ زاد المعاد لابن القيم جـ ١ صـ ٧٤ تفسير الفخر الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ، الزمخشرى : الكشاف جـ٣ صـ ٣٥٠ نظم الدرر للبقاعى جـ ١٦ صـ ٢٦١ ، روح المعانى جـ ٢٣ صـ ١٣٤ .

الحجة الخامسة : ورود الأحاديث الكثيرة فى تعليق قرن الكبش فى الكعبة وارتباط مناسك الحج والعمرة بحادث الذبح والفداء :

ومما استدل به الفريق الثانى أيضا ورود الأخبار الكثيرة فى تعليق قرن الكبش الذى فدى به الذبيح بالكعبة إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج ، فمعنى ذلك أن مكان الذبح كان بمكة ، ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح قد تم بالشام .

وإسماعيل هو الذى كان بمكة موضع الذبح ، فجعلت أفعاله عند الأمر بذبحه ، وافتدائه بذبح عظيم ، مناسك للحج فى منى ، كما جعلت أفعال أمه فى مكة المشرفة أول مرة عندما أشرف على الموت من العطش مناسك للحج والعمرة [1] .

ومن هذه الأخبار ماورد فى الدر المنثور للسيوطى :

أخرج سعيد بن منصور وأحمد والبيهقى فى سننه عن امرأة من بنى سليم قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة ، فسألت عثمان لما دعاه النبى ﷺ قال : « قال إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت الكعبة فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فخمرهما فإنه لاينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلين » [2] .

وقال الإمام أحمد :حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله مسافح عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عليه أهل دارنا قالت :

---

(١) راجع التفسير الكبير للرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٤ الكشاف للزمخشرى جـ٣ صـ ٣٥٠ .
تفسير النيسابورى جـ٢٣ صـ ٦٨ معالم التنزيل للبغوى جـ ٤ صـ ٣٣ .
نظم الدرر للبقاعى جـ ١٦ صـ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، ٢٧٦ روح المعانى للألوسى جـ ٢٣ صـ ١٣٤ ،
السراج المنير للشربينى جـ ٣ صـ ٣٨٦ .

(٢) الدر المنثور للسيوطى جـ ٢٣ صـ ١١٤ .

أرسل رسـول الله ﷺ إلى عـثمـان بن طلحـة ، وقالت مـرة : أنها سـألت عثمـان : لم دعاك رسول الله ﷺ ؟ قـال : قال لى رسـول الله إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمـرهما فخمرهما ، فإنه لاينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى .

قـال سفـيان : لم يزل قـرنا الكبش مـعلقـين فى البيت حـتى احـترق البـيت فاحترقا .

وكذا روى عن ابن عبـاس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميـزاب الكعبة قد يبس [١] .

وهذا وحده ـ كما يقول ابن كثير فى كتابه « قصص الأنبياء » دليل على أن الذبيح إسماعيل ، لأنه كان هـو المقيم بمكة ، وإسـحاق لانعلم أنه قدمها فى حال صغره .

وهذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل [٢] .

وبعد أن أورد هذه الرواية فى تفسيره عقب عليها بقوله :

« وهذا دليل مـستقـل على أنه إسمـاعيل عليـه الصلاة والسـلام فإن قـريشا توارثوا قرنى الكـبش الذى فدى به إبراهيم خلفا عن سـلف ، وجيلاً بعـد جيل ، إلى أن بعث الله رسول الله ﷺ [٣] .

والظاهر أن هذا التـوارث من قريش لقـرنى الكبش خلفا عن سلـف ، حتى احترقـا أيام حصار الحجاج ابن الزبير لم يكن مـنهم إلا للفخر ، ولا يتم لهم ذلك إذا كان الكبش فدى به إسحاق دون أبيهم إسماعيل [٤] .

---

(١) المسند جـ ٦٤ صـ ٦٨ ، راجع قصص الأنبيـاء لابن كثير جـ ١ صـ ١٤٢ ـ ١٤٣ تفسيـر ابن كثير جـ ٤ صـ ١٧ .

(٢) قصص الأنبياء جـ ١ صـ ١٤٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٧ .

(٤) روح المعانى للألوسى جـ ٢٣ صـ ١٣٤ .

وحينما سئل الشعبى عن الذبيح قال : هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وقد رأيت قرنى الكبش فى الكعبة [1] .

وذكر الأصمعى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال له : يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ! ومتى كان إسحاق بمكة ؟! وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة [2] .

والحقيقة فإن هذا الاستدلال يعد أقوى ما استدل به القائلون بأن الذبيح إسماعيل حيث اعتمد على النقل والعقل ، ووردت به أحاديث مرفوعة إلى النبى ﷺ ، يستنبط منها ، ويحتج بها على أن الذبح كان بمكة ، وأن الذبيح هو إسماعيل ، لأنه هو وحده كان بمكة ، وعاش بها ، ودفن فيها ، دون أخيه إسحاق ، حيث لم يؤثر لا فى الكتاب ولا فى السنة ولا فى التاريخ ولا فى الآثار أن إسحاق قد جاء إلى مكة ، أو أنه كان على صلة بها ، بالإضافة إلى ارتباط مناسك الحج والعمرة بإسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام .

ومن العجيب أن الإمامين : الطبرى والقرطبى ـ سامحهما الله وغفر لهما ـ قد بالغا فى الاستدلال على أن الذبيح إسحاق ، فاضطرهما ذلك إلى أن يقولا كلاماً غريبا وغير مقبول .

فهذا هو الطبرى يقول : « وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا فى الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة » .

ويذكر أنه قد روى عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام وبها أراد ذبحه [3] .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٢٣ صـ ٥٣ تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ١٨ معالم التنزيل للبغوى جـ ٤ صـ ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ ١٠٠ تفسير الرازى جـ ٢٦ صـ ١٥٣ معالم التنزيل جـ ٤ صـ ٣٣ .
تفسير البحر المحيط جـ ٧ صـ ٣٧١ الكشاف جـ ٣ صـ ٣٥٠ ، تاريخ الخميس جـ ١ صـ ٩٥ ، نسيم الرياض حـ ١ صـ ٤٩٠ .

(٣) تفسير الطبرى حـ ٢٣ صـ ٥٥ .

أما القرطبى فإنه يقول :

واختلف فى الموضع الذى أراد ذبحه فيه .

فقيل : بمكة فى المقام ، وقيل : فى المنحر بمنى عند الجمار التى رمى بها إبليس لعنه الله قاله ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب .

وحكى عن سعيد بن جبير : أنه ذبحه على الصخرة التى بأصل ثبير بمنى .

وقال ابن جريج : ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس على ميلين .

ثم يرجح القرطبى وقوعه بمكة ويقول : والأول أكثر ، فإنه ورد فى الأخبار تعليق قرن الكبش فى الكعبة ، فدل على أنه ذبحه بمكة ، وينقل قول ابن عباس : فو الذى نفسى بيده : لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش معلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد يبس [(١)] .

ومع كل ذلك فهو يصر على أن الذبيح إسحاق ، ويجيب على هذا الاستدلال القوى الذى نحن بصدد الحديث عنه بأن إبراهيم عليه السلام ـ فيما رواه سعيد بن جبير ـ أرى ذبح إسحاق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ، فلما صرف الله عنه الذبح ، وأمره أن يذبح الكبش فذبحه ، وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الأودية والجبال [(٢)] .

ويقول فى موضع آخر : « أجاب من قال بأن الذبح وقع بالشام لعل الرأس حمل من الشام إلى مكة » [(٣)] .

ولا أدرى لماذا هذا الإصرار العجيب من الطبرى والقرطبى ، حتى

---

(١) راجع تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٠ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٠١ .

يضطرهما إلى أن يقولا هذه الأقوال ، التى لاوزن لها من الناحية التاريخية ، فلم يثبت فعلاً أن إسحاق ذهب إلى مكة مطلقاً ، حيث لم يرد ذلك فى أى مصدر .

وكل ما قيل إنما هو نوع من الافتراضات التى لم يقم عليها أى دليل ، وإذا كانوا يعتمدون على رواية سعيد بن جبير التى يذكر فيها البراق ، فإن سعيداً هذا رضى الله عنه قد روى عنه أنه يرى أن الذبيح إسماعيل وينقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما كما سبق أن أوردناه .

ثم ما هى الضرورة القصوى والحاجة الملحة التى تلجئنا إلى اختراع قصة البراق الذى نقل إبراهيم إلى مكة حاملاً معه إسحاق ؟! ! .

وإذا كان القائلون بأن الذبيح إسحاق يقرون بأن إسحاق كان مقيماً بمكة حيث ثبت ذلك بالقرآن والسنة والتاريخ فلا مناص لهم من التصديق ، فلماذا اضطر إبراهيم إلى إحضار إسحاق إلى مكة ، وإسماعيل كان موجوداً بها .

ثم إن القائلين بأن الذبح قد تم فى الشام يزعمون أن الرأس قد حملت من الشام إلى مكة ! ! ! ولا بد أنها أيضا حملت بالبراق ! ! .

وأعتقد أن هذه الحجة من القوة التى جعلتهم لايستطيعون دفعها وعجزوا عن إنكارها حيث ارتبطت مناسك الحج والعمرة بإبراهيم وإسماعيل وهاجر ، وليس هنالك أدنى صلة أو أقرب إشارة بين إسحاق وهاجر ، وبين مسجد الخيف وسارة كما ورد سابقا فى إحدى الروايات المكذوبة ، فلم يجدوا مخرجاً لهم إلا هذه الاحتمالات التى تعلقوا بأذيالها .

وكل ما هنالك أن الطبرى ومن ذهب مذهبه قد قاموا بتقليد أهل الكتاب والنقل عنهم ، وحاولوا بعد ذلك تلمس الأدلة بشتى السبل ، وغرّهم فى ذلك أيضا تلك الروايات والآثار التى عرضنا لها وفيها من الضعيف والمنكر والموضوع المنقول أيضا عن أهل الكتاب ، حيث تبين لنا أنها من المرويات الإسرائيلية المنكرة التى لايجوز الاحتجاج بها ، ولايمكن الاعتماد عليها .

ابن تيمية وابن القيم يردان على هذه المزاعم :

هذا وقد انبرى كل من الإمامين : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى الرد على مزاعم الطبرى والقرطبى مستدلين بهذه الحجة :

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مما يستدل به على أن الذبيح إسماعيل أن قصة الذبيح كانت بمكة ، والنبى ﷺ لما فتح مكة كان قرنا الكبش فى الكعبة ، فقال النبى ﷺ للسادن :

« إنى آمرك أن تخمر قرنى الكبش فإنه لاينبغى أن يكون فى القبلة ما يلهى المصلى » [(١)] .

ولهذا جعلت منى محلاً للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة ، لا من أهل الكتاب ولا غيرهم .

لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبيح كانت بالشام فهذا افتراء .

فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك الجبل ، وربما جعل منسكا كما جعل المسجد الذى بناه إبراهيم ومعه إسماعيل وما حوله من المشاعر [(٢)] .

أما ابن القيم فإنه يذكر أن قصة الذبح كانت بمكة قطعاً ، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرابين يوم النحر بها ، تذكيراً للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده إسماعيل .

كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة لذكر الله .

---

(١) راجع نص الحديث المذكور آنفا .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٤ صـ ٣٣٦ ، راجع أيضا منهاج السنة جـ ٥ صـ ٣٥٤ .

ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ، وأن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة ، ولم يفرق بينه وبين أمه فى شبابه .

فكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته ، فيذبحه بموضع ضرتها فى بلدها ويدع ابن ضرتها ؟ ! ! ! .

(فلله درك يا ابن القيم) .

ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك فى بنائه إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانا ومكانا .

ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة [1] .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية يتأكد لنا تماماً أن مكة المكرمة والمشاعر المقدسة مرتبطة بإسماعيل وحده دون أخيه إسحاق عليهما السلام ، وأن إسحاق لاعلاقة له بمكة زيارة أو منسكا .

فلو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم التى ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام ، لانجد فيها أدنى علاقة بينه وبين البيت الحرام ، ولانحصل على أدنى إشارة إلى ارتباط إسحاق بمكة ، أو بأى شعيرة من شعائر الحج فى منى أو فى غيرها .

فقد ورد ذكر إسحاق عليه السلام فى القرآن الكريم سبع عشرة مرة ارتبط ذكره فيها بإبراهيم عليه السلام [2] .

---

(١) زاد المعاد جـ ١ صـ ٧٣ ـ ٧٤ إغاثة اللهفان جـ ٢ صـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة « سحق » نشر دار الحديث بالقاهرة .

منها ست مرات ذكر مع إسماعيل وكان دائماً يذكر بعده [١] مما يؤكد أنه ولد بعده ، وأن إسماعيل هو البكر ، وهو ما أجمع عليه أهل الكتاب والمسلمون ولم يشذ عنهم إلا القرطبى فى قولٍ له .

وفى المرات الإحدى عشر الباقية ذكر إسحاق مع إبراهيم دون إسماعيل [٢] وفى كل الآيات لا نجد أثراً لأدنى صلة بين إسحاق وبين مكة والمشاعر المقدسة .

أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكره فى القرآن ثنتى عشرة مرة .

ذكر وحده دون أبيه وأخيه فى أربع مرات [٣] .

وذكر مع أبيه إبراهيم فى المرات الثمانية الباقية :

منها ست مرات ذكر معها إسحاق ، فى خمسة منها ورد ذكر إسماعيل بعد أبيه إبراهيم وقبل أخيه إسحاق ، وفى السادسة كان الحمد لله على لسان إبراهيم :

يقول تعالى : ﴿ **قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾ [٤] .

﴿ **وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب** ﴾ [٥] .

﴿ **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب** ﴾ [٦] .

---

(١) هذه الآيات هى :(قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً)(البقرة : ١٣٣) وما أنزل إلى إبراهيم وإسحاق (البقرة : ١٣٦) وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (آل عمران : ٨٤) وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (النساء : ١٦٣) الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق (إبراهيم : ٣٩) .

(٢) الأنعام : ٨٤ / هود : ٧١ / هود : ٧١ / يوسف : ٦ ، ٣٨ / مريم : ٤٩ ، الأنبياء : ٧٢ / العنكبوت : ٢٧ / الصافات : ١١٢ / ١١٣ / ص : ٤٥ .

(٣) الأنعام : ٨٦ / مريم : ٥٤ / الأنبياء : ٨٥ / ص : ٤٨ .

(٤) البقرة : ١٣٣ .　(٥) البقرة : ١٣٦ .　(٦) البقرة : ١٤٠ .

﴿ وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾ (١) .

﴿ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾ (٢) .

ويقول تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء ﴾ (٣) .

والمرتان الباقيتان ورد ذكر إسماعيل فيهما مرتبطا بمشاركته لأبيه فى تطهير البيت الحرام ورفع قواعده يقول تعالى :

﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ (٤) .

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (٥) .

أما فى سورة « إبراهيم » فقد وردت الإشارة إلى إسماعيل وأمه هاجر دون ذكر اسميهما فقال تعالى : ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (٦) .

ولو رجعنا إلى السنة النبوية نجد أن البخارى قد روى فى صحيحه عن أيوب وكثير عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : « أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ، وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ،

---

(١) آل عمران : ٨٤ . (٢) النساء : ١٦٣ . (٣) إبراهيم : ٣٩ .
(٤) البقرة : ١٢٥ . (٥) البقرة : ١٢٧ . (٦) إبراهيم : ٣٧ .

ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لايلتفت إليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لايضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم عليه السلام ، حتى إذا كان عند الثنية ـ حيث لايرونه ـ استقبل بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، فرفع يديه ، فقال : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع** ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿ **يشكرون** ﴾ (إبراهيم : ٣٧) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال : يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، فنظرت ، هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات ـ **قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فلذلك سعى الناس بينهما** ـ فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت : صه ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت فسمعت أيضا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عند غواث ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ـ أو قال : بجناحه ـ حتى ظهر الماء ، تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف ـ وفى رواية : بقدر ماتغرف ـ قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم ـ أو قال : لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينا معيناً ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة ، فإن ههنا بيتاً لله ، يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لايضيع [أهله] ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه ، وعن شماله ، فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جرهم

ـ أو أهل بيت من جرهم ـ مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم ، فأقبلوا ـ وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لاحق لكم فى الماء ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الأنس ، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام ـ وعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ـ فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم ، بعدما تزوج إسماعيل ، يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ؟ فقالت : خرج يبتغى لنا ـ وفى رواية : ذهب يصيد ـ ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة ، وشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، وقولى له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك ، فأخبرته ، فسألنى : كيف عيشنا ؟ فأخبرته : أنا فى جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، أمرنى أن أقرأ عليك السلام ، ويقول لك : غير عتبة بابك ، قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسأل عنه ؟ قالت : خرج يبتغى لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل ، فقال : ماطعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء ، قال النبى ﷺ : ولم يكن لهم يومئذ حبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ـ وفى رواية فجاء فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت امرأته : ألا تنزل فتطعم

وتشرب ؟ قال : فما طعامكم وماشرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم ، قال : فقال أبو القاسم ﷺ : بركة دعوة إبراهيم ـ رجع إلى ما فى الإسناد الأول ـ قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألنى عنك ؟ فأخبرته ، فسألنى ، كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير ، قال : فأوصاك بشئ ؟ قالت : نعم ، يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك أبى ، وأنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرنى بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعيننى ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرنى أن أبنى بيتاً هاهنا ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ فعند ذلك رفع القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يبنى ، حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبنى ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : فجعلا يبنيان ، حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ .

وفى رواية : عن إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما كان من أمر إبراهيم ومن أهله ما كان ، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ، ومعهم شنة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة ، فيدر لبنها على صبيها ، حتى قدم مكة ، فوضعها تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله ، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء ، نادته من ورائه يا إبراهيم ، إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : رضيت بالله ، قال : فرجعت ، فجعلت تشرب من الشنة ، ويدر لبنها على صبيها ، حتى لما فنى الماء ، قالت : لو ذهبت

فنظرت ، لعلى أحس أحداً ، قال : فذهبت ، فصعدت الصفا ، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً ؟ فلم تحس [أحداً] ، فلما بلغت الوادى سعت ، وأتت المروة ، وفعلت ذلك أشواطاً ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما يفعل الصبى ؟ فذهبت ، فنظرت ، فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت ، فلم تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت ، فنظرت ، لعلى أحس أحداً ؟ فذهبت ، فصعدت الصفا ، فنظرت ونظرت ، فلم تحس أحداً ، حتى أتمت سبعاً ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ؟ فإذا هى بصوت فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل ، قال : فقال بعقبه هكذا ـ وغمز بعقبه على الأرض ـ فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل ، فجعلت تحفن ـ وفى أخرى : تحفر ـ ولو تركته كان الماء ظاهراً ، وكان عيناً معيناً ... وذكر الحديث بطوله نحوه ، أو قريباً منه ، والأول أتم ـ إلى قوله : فوافى إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له ، فقال : يا إسماعيل ، إن ربك أمرنى أن أبنى له بيتاً ، قال : أطع ربك ، قال : إنه قد أمرنى أن تعيننى عليه ، قال : إذن أفعل ـ أو كما قال ـ فقاما ، فجعل إبرهيم يبنى ، وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة ، فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة ويقولان ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ [1] .

يذكر الإمام ابن القيم أن الله سبحانه أراد أن يبعد عن سارة هاجر وابنها إسماعيل ، ويسكنها فى أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة ، لأنها غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة لأنها كانت جارية ، ولما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرتها .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء راجع فتح البارى لابن حجر جـ ٦ حديث رقم ٣٣٦٤ صـ ٣٩٦ ـ ٣٩٨ جامع الأصول لابن الأثير جـ ١٠ صـ ٢٩٦ ـ ٣٠٢ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام صـ ٣ ـ ٥ من الجزء الثانى ، أخبار مكة للأزرقى جـ ٢ صـ ٣٩ ـ ٤١ أخبار مكة للفاكهى حـ٢ صـ ٥ ـ ٩ .

وهذا من رحمته تعالى ورأفته .

فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ، ويدع ابن الجارية بحاله ؟ .

هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها .

فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية ؟ .

ويجيب بأن حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرِّية ، حتى يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها ، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها ، وأن الله لايضيع بيتاً هذه وابنها منهم [1] .

والذى يتأمل قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر رضى الله عنها ، ونزوحهما إلى مكة بعد أن اشتدت غيرة سارة رضى الله عنها ، يجد أن هذه الغيرة كانت السبب الظاهر .

أما السبب الحقيقى فقد أجاب عنه الخليل إبرهيم عليه السلام حينما سألته السيدة هاجر رضى الله عنها : آلله أمرك بهذا ؟ .

قال : نعم ، قالت : إذن لايضيعنا .

وصدقت هاجر فى توقعها وتسليمها لأمر الله ، وإذعانها بقبوله ، مثلما أذعن ابنها إسماعيل واستسلم لأمر الله حينما عرض عليه أبوه أن يذبحه ، فقد كافأهما الله سبحانه وأجزل لهما العطاء .

يقول الإمام القسطلانى [2] :

فانظر أيها الخليل ما فى هذه القصة من السر الجليل ، وهوأن الله تعالى يرى

---

(١) زاد المعاد جـ ١ صـ ٧٥ .

(٢) راجع المواهب اللدنية للقسطلانى مع شرحه للعلامة الزرقانى جـ ١ صـ ١٠٠ دار المعرفة للطباعة والنشر .

راجع أيضا ابن القيم : زاد المعاد جـ ١ صـ ٧٥ .

عباده الجبر بعد الكسر ، واللطف بعد الشدة ، فإنه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد ، والوحدة ، والغربة ، والتسليم لذبح الولد أنها آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم الدين .

وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه ، وذله ، وانكساره ، وصبره ، وتلقيه القضاء بالرضا فضلاً منه .

قال الله تعالى : ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾ [1] .

---

(١) القصص : ٥ .



تعقيب ورأى المؤلف



تعقيب ورأى المؤلف

لعل القارئ يكون قد أدرك جيداً ، ولاحظ بسهولة من خلال عرض أدلة وحجج الفريقين ، ومن خلال بعض التعليقات والنقود التى أوردتها تعقيباً عليها لعله أدرك ولاحظ أن أدلة وحجج الفريق الأول القائلين بأن الذبيح إسحاق أدلة واهية ، وحجج ضعيفة ، حيث تبين لنا من خلال نقدها مدى تهافتها وسقوطها وكونها لاتصلح للاستدلال ، ولا يحسن الاستشهاد بها أو الاعتماد عليها .

ولعله لاحظ أيضا مدى قوة أدلة الفريق الثانى القائلين بأن الذبيح إسماعيل وسلامة حججهم فقد أوردتها عقب أدلة وحجج الفريق الأول ، وجاءت بمثابة هدم لأدلة الفريق الأول ورد عليهم .

ولعل القارئ قد أدرك أيضاً من خلال هذه التعقيبات وتلك التعليقات التى أوردتها أننى أميل إلى رأى الفريق الثانى وأرجح ما ذهبوا إليه من أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .

ولقد حاولت جهدى أن أخفى هذا الترجيح ، وأستر ذلك الميل حتى يكتمل المنهج العلمى فى البحث ، ولكن غلبة هذه الأدلة ، وقوة تلك الحجج ، أبرزتا بكل وضوح لالبس فيه ، وأثبتتا بكل يقين لاريب فيه ، ما حاولت أن أخفيه أو على الأقل بذلت جهداً فى محاولة تأجيله .

وفى هذا التعقيب الأخير الذى لامجال فيه للمواراة أو للمداراة ، لن أقتصر فيه على مجرد الميل أو الترجيح ، وإنما أؤكد بعد عرض أدلة الفريقين ونقدها فى هذا الفصل من خلال ذكر قصة الذبيح عند المسلمين ، وقبله فى الفصل الأول من خلال عرض ونقد ما لدى اليهود والنصارى فى إطار ذكر قصة الذبيح عند أهل الكتاب ، أؤكد بعد كل هذا أننى أقطع وأوقن بأن الذبيح هو إسماعيل عليه

السلام وذلك لما يلى :

أولاً : بطلان ما ذهب إليه أهل الكتاب من اليهود والنصارى من أن الذبيح إسحاق ، وذلك من خلال النقد الذى أوردته فى الفصل الأول ، والذى تبين فيه أن اليهود قد بدّلوا وغيروا فى التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وأن هذا التغيير وذلك التبديل ظاهران جداً فى إضافة كلمة « إسحاق » وحشرها حشراً بعد قولهم فى التوراة حكاية عن الرب سبحانه مخاطبا إبراهيم الخليل عليه السلام « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » حيث أثبت من خلال الرجوع إلى نصوصهم المقدسة أن هذه الصفات لاتنطبق إلا على إسماعيل عليه السلام بالإضافة إلى أن نص النسخة العبرية ترجمتها كلمة « بكرك » بدلاً من كلمة « وحيدك » فإسماعيل وحده هو البكر ، وهو وحده الذى يصلح أن يكون وحيد إبراهيم ، بالإضافة إلى أن حب أبيه له كان أكثر من حبه لأخيه إسحاق باعتباره « بكره » وعادة ما يكون الولد البكر أحب إلى أبيه أكثر من بقية إخوته .

ثانيا : فشل محاولات اليهود وإخفاقهم فى نزع البكورية من إسماعيل عليه السلام ، وإسقاطها عنه ، وسلب اختصاصاتها منه وإثباتها لإسحاق عليه السلام حتى يؤكدوا استحقاقه لميراث أبيه الروحى واختصاصه به دون أخيه إسماعيل .

حيث تبين لنا أن نصوصهم المقدسة قاطعة فى أن إسماعيل هو البكر ، وأن حقه فى البكورية لايسقط عنه بأى حال من الأحوال ، وأن محاولاتهم فى هذا الشأن قد باءت بالفشل والسقوط .

وتبين لنا استمرار هذا الاختصاص وذلك الاستئثار فى ذرية إسحاق حيث اعتبروا أن نبوة يعقوب واختياره كان نتيجة مؤامرة منه وكيد لأخيه عيسو ، وقد تبين لنا بطلان ماذهبوا إليه ، حيث نسبوا إلى سيدنا يعقوب عليه السلام ما لا يليق به كنبى ورسول .

ثالثا : تبين لنا الغرض الذى يهدف إليه اليهود وتابعهم فيه النصارى من جعل إسحاق هو الذبيح دون إسماعيل وهو النيل من إسماعيل والإقلال من شأنه والتصغير من أمره هو وذريته من العرب ، ونزع هذا الفضل الذى لحق به هو وذيته وخاصة سيدنا محمد ﷺ باعتباره هو الذبيح المأمور بذبحه من الله سبحانه ولم يكن منه إلا التسليم الكامل والإذعان لأمر الله والطاعة التامة لأمر أبيه .

فأرادوا أن ينال إسحاق وذريته هذا الفضل الذى أقر به بعض علمائهم واعترفوا أنهم فعلوا ذلك حسداً من عند أنفسهم للعرب والمسلمين .

بالإضافة إلى أن النصارى بوجه خاص حاولوا أن يربطوا بين حادث الذبح وبين عقيدة الصلب والفداء المزعومة عندهم حيث جعلوا إسحاق هو الذبيح الأول والمسيح هو الذبيح الثانى ، فلو كان الذبيح إسماعيل لما تمكنوا من الربط بينه وبين المسيح لأن المسيح من ذرية إسحاق وليس من ذرية إسماعيل عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

رابعاً : تبين لنا أيضا أن المسلمين ما كان لهم أن يختلفوا حول تعيين الذبيح من ولدى الخليل عليهم السلام ، وإنما الذى ساعد على هذا الاختلاف أن قصة الذبيح قد وردت فى القرآن الكريم دون أن يكون فيها نص صريح على تحديد اسم الذبيح بالإضافة إلى أنه لم يوجد فى السنة النبوية حديث صحيح معتمد يحسم القضية من أولها ، ويلتزم الجميع به .

فأدى كل ذلك إلى اختلاف علماء المسلمين حيث ذهب بعضهم إلى أن الذبيح إسحاق ، وذهب جمهورهم إلى أن الذبيح إسماعيل ، وتوقف البعض فلم يذهب إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وتبين لنا أن كلا من الفريقين : الفريق الأول الذى يرى أصحابه أن الذبيح

إسحاق ، والفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح إسماعيل قد اعتمدوا على أدلة وحجج وقسمتها إلى قسمين : حجج نقلية ، وحجج عقلية .

وقد عرضت لأدلة الفريقين بالتفصيل وعقبت عليها بالنقد والتعليق .

خامساً : لقد سبق أن أشرت إلى ضعف الأدلة التى استشهد بها أصحاب الفريق الأول واعتمدوا عليها فى إثبات أن الذبيح إسحاق ، فقد استدلوا بها بعد أن اعتقدوا هذا الاعتقاد ، وراحوا يتلمسون بشتى الطرق وبمختلف الوسائل ما يؤيد هذا الاعتقاد وقد وجدوا ضالتهم فى هذه الروايات المرفوعة والموقوفة والتى تبين بعد نقد علماء الحديث لها ـ كما سبق ـ أنها مابين الضعيف الذى لايحتج به ، والموضوع الذى لايؤبه له ، والموقوف الذى ظنوه مرفوعاً ، وليس فيها حديث صحيح مرفوع يعتمد عليه أو يستشهد به .

بالإضافة إلى أنهم قد قلدوا فى هذا الرأى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأشاروا هم أنفسهم إلى ذلك ، واعتبروا قول أهل الكتاب حجة فى ذلك ، رغم ثبوت بطلان ماذهبوا إليه كما سبق أن بينا بالأدلة والبراهين من خلال نقد النصوص التى استشهدوا بها من أسفارهم المقدسة ، ورغم الكشف عن نواياهم الخبيثة وأهدافهم الرخيصة فى العدول عن الحق للنيل من العرب فى شخص إسماعيل عليه السلام حيث نزعوا منه الأفضلية وأسقطوا عنه البكورية وادعوا أن الذبيح هو إسحاق ، لينالوا هم الفضل الذى هو من حق إسماعيل وذريته من العرب والمسلمين .

وكان ينبغى على هؤلاء ـ أصحاب الفريق الأول ـ أن يتأكدوا أولاً من صحة الآثار والأحاديث التى استشهدوا بها قبل أن يقلدوا أهل الكتاب ، وكان ينبغى أيضا عليهم أن لا يحسنوا الظن بمن نقلوا عنهم هذه الإسرائيليات وأن لايغتروا بها .

سادساً : وإذا كان قد ثبت من خلال البحث والدراسة أن مصدر هذه الروايات هو كعب الأحبار كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير وغيره فإننى لن أجرؤ على الطعن فى كعبٍ هذا والنيل من عدالته بعد أن وثقه علماء الجرح والتعديل .

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن خلدون قد بينا أن كعب الأحبار مصدر مهم ورئيسى من مصادر الإسرائيليات ، حيث كان من أكثرهم حديثا عن أهل الكتاب ، وكثير الرجوع إلى توراة اليهود ، ونقلا قول سيدنا معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه « ما رأينا فى هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب وإن كنا لنبلوعليه الكذب أحيانا » (١) .

فإن كلاً من الشيخ رشيد رضا والدكتور أحمد أمين قد قاما بالطعن فى كعب الأحبار والنيل من عدالته والتحذير من روايته ، وتابعهما آخرون ، وقام بالرد عليهم الشيخ الزرقانى والدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور أبو شهبة وغيرهم ، مؤكدين على عدالة كعب وتوثيقه بناء على توثيق وتعديل علماء الجرح والتعديل له ، وأخذ الصحابة والتابعين عنه ، وبينوا أن ابن تيمية وابن خلدون لايقصدان الطعن فى شخص كعب وإنما يحذران من روايته فقط (٢) .

وبناء على ذلك فإنه يكفينى ذلك الإجماع من الطاعنين فى كعب والموثقين له على التحذير من روايته ، وبيان أنه قد نقل روايات منكرة ومكذوبة .

يقول الإمام ابن تيمية : « ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وجده فى كتبهم ـ يقصد أهل الكتاب ـ ولو نقل ناقل ما وجده فى الكتب عن نبينا ﷺ لكان فيه كذب كثير فكيف بما فى كتب أهل الكتاب مع طول المدة وتبديل

---

(١) راجع مقدمة فى أصول التفسير ومجموع الفتاوى جـ ١٥ صـ ١٥١ ومقدمة ابن خلدون .

(٢) راجع التفسير والمفسرون جـ ١ صـ ١٨١ ـ ١٩٧ ومناهل العرفان للزرقانى جـ ١ صـ ٤٩١ ـ ٤٩٦ .

الدين وتفرق أهله وكثرة أهل الباطل فيه [1] .

ويذكر الإمام الذهبى أن كعب الأحبار كان يهوديا ثم أسلم بعد وفاة النبى ﷺ ، وقدم المدينة من اليمن فى أيام عمر رضى الله عنه ، فجالس أصحاب محمد ﷺ فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ عجائب [2] .

ويذكر الدكتور الذهبى أن كعباً كان يروى ما يرويه على أنه صحيح لم يبدل ولم يحرف ، فهو لم يتعمد كذبا ولاينسب إلى كذب ، وإن كان ما يرويه كذبا فى حد ذاته ، خفى عليه كما خفى على غيره ، ويرى أنه إذا كانت الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره قد أثرت فى عقيدة المسلمين وعلمهم أثراً غير صالح فليس ذنب هذا راجعاً إلى كعب وأضرابه ، لأنهم رووه على أنه مما فى كتبهم ، ولم يشرحوا به القرآن - اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له — ثم جاء مَنْ بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع ، بل وزادوا على ذلك ما اخترعوه من الأساطير وما نسجوه من القصص الخرافية ، نسبوها لهؤلاء الأعلام — يقصد كعباً ووهب بن منبه وقبلهما عبد الله بن سلام - ترويجاً لها وتمويها على العامة [3] .

لكن الدكتور محمد أبا شهبة رغم أنه تابع العلماء وقرر أن كعباً ما كان وضاعاً يتعمد الكذب ، وأن الإسرائيليات التى رواها ، وإن كان وقع فيها كذب وأباطيل ، فذلك يرجع إلى من نقل عنهم من أسلافه الذين حرفوا وبدلوا ، وإلى بعض كتب اليهود التى حشيت بالأكاذيب ، والخرافات وإما إلى خطئه فى التأويل .

---

(١) راجع محموع الفتاوى مجلد ١٥ صـ ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء مجلد ٣ صـ ٣٨٩ .

(٣) الإسرائليات في التفسير والحديث صـ ١٣٤ التفسير والمفسرون جـ ١ صـ ١٩٠ .

فرغم أنه قال ذلك إلا أنه يعود فيذكر أنه كان أولى به وأجمل وهو عالم مسلم ، أن يتحرى الحق والصدق ، ويميز فى مروياته بين الغث والسمين ، وما يجوز نقله ، ومالايجوز وتمنى لو أنه فعل ذلك لأراحنا من كل هذا الركام المتهافت ، الذى سمم العقول والأفكار وجرّ على المسلمين البلاء [1] .

ورحم الله الحافظ ابن كثير حينما عقب على إحدى الروايات التى أوردها القصاص فى قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ فقال : « والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدّل ونسخ ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة » [2] .

سابعاً : وإذا كان هذا هو حال أدلتهم النقلية فإن أدلتهم العقلية ليست بأحسن حالاً منها ، فقد تبين من خلال هذا البحث أنها أدلة متمحلة ومتكلفة ، حيث أتى بها هؤلاء للاستدلال على صحة مذهبهم والاستشهاد بها على سلامة آرائهم ، فتكلفوا فيها أشد ما يكون التكلف ، وتمحلوا فى الاستدلال بها غاية ما يكون التمحل ، ولعلنا نذكر على سبيل المثال الإمام القرطبى ـ وهو من هو ـ حينما بالغ فى هذا التكلف ، وأمعن فى ذلك التمحل ، حتى إنه زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل وهو الأمر الذى لم يجرؤ اليهود على القول به ولم يتمكنوا من إنكاره ، ولو فعلوا ذلك لما كانوا فى حاجة إلى بذل محاولات فاشلة فى إسقاط البكورية عن إسماعيل .

هذا بالإضافة إلى أننى قمت بنقد هذه الأدلة العقلية بتعقيبات من أدلة الفريق

---

(١) راجع كتابه الإسرائيليات والموضوعات صـ ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ صـ ٣٦٦ .

الثانى كانت بمثابة إبطال لها ، كذلك أوردت هذه الأدلة العقلية فى معرض الاعتراضات على أدلة الفريق الثانى وتم دفعها والرد عليها .

وبذلك ظهر ضعف هذه الأدلة ، وبان عوارها ، وأنها لاتصلح للاستدلال بها ، ولايمكن الاعتماد عليها .

ثامناً : إذا كان هذا هو حال أدلة الفريق الأول فإن أدلة الفريق الثانى ـ الذين قالوا إن الذبيح إسماعيل عليه السلام ـ على العكس من ذلك حيث إنها تتميز بالقوة وتتسم بالتماسك ، سواء كانت الأدلة النقلية المتمثلة فى الحديث المرفوع والذى ارتضاه كثير من العلماء ، والمتمثلة أيضا فى الأحاديث الموقوفة على الصحابة والتابعين والتى تبين أنها أقوى وأصح فى الإسناد إليهم وخاصة الروايات الموقوفة على ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، حيث تبين أنها تمثل رأيهما الأخير فى الذبيح كما سبق أن فصلت ذلك فى ثنايا البحث .

وسواء كانت الأدلة العقلية القائمة على حسن الاستنباط من آيات القرآن الكريم ، ونصوص السنة النبوية ، والمتفقة مع وقائع التاريخ ودلائل الأحداث .

فقد أوردت هذه الأدلة العقلية مفصلة مشتملة على الردود القوية على بعض الاعتراضات التى اعترض بها أصحاب الفريق الأول ولست فى حاجة إلى إعادة عرض هذه الأدلة هنا ، فقوتها ظاهرة للقارئ يدركها من أول وهلة .

ولكنى أستسمحه فى الإشارة إلى الحجة الخامسة والأخيرة والتى تتعلق بورود الأخبار الكثيرة فى تعليق قرنى الكبش الذى فدى به الذبيح بالكعبة ، وارتباط أحداث الذبح والفداء بمناسك الحج والعمرة ، وارتباط كل ذلك بمكة ومنى وعرفات وسائر المشاعر المقدسة .

وكون إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام هما اللذان كانا بمكة وارتباط السعى بين الصفا والمروة بهاجر ، وكون إسماعيل هو الذى رفع مع أبيه الخليل

القواعد من البيت الحرام ، كل هذا يثبت بجلاء لا مجال للبس فيه ، ويؤكد بيقين لامجال للشك والارتياب فيه أن الذبيح كان إسماعيل وليس إسحاق ، فليس هناك أدنى صلة تاريخية بين إسحاق وأمه سارة عليهما السلام وبين مكة المكرمة أو منى أو غيرها من الشعائر المقدسة .

أما محاولات الطبرى والقرطبى فى إثبات أن الذبح كان بالشام ، أو أن إسحاق قد حمل بالبراق من الشام إلى مكة أو منى فإنها محاولات فاشلة ، وكان ينبغى عليهما هما ومن تابعهما أن تكون هذه الحجة مدعاة لهم للعدول عن رأيهم ، واللجوء إلى المذهب الصحيح .

وإذا كان هذا هو حال الحجة الخامسة والأخيرة من حجج الفريق الثانى العقلية فإن بقية الحجج بنفس الدرجة من القوة فى الاستدلال والصحة فى الاستنباط إن لم يكن بعضها أقوى منها ، وخاصة ما استدل به محمد بن كعب القرظى أمام الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكذلك ما استدل به السبكى وابن تيمية وابن القيم وخاصة فى ردود ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن كثيرعلى القائلين بأن الذبيح إسحاق ، حيث جاءت ردودهم مستفيضة ، وأجوبتهم سديدة ، قضت على شبهات هؤلاء قضاء مبرماً ، ودفعت اعتراضاتهم دفعاً مباشراً .

وخلاصة القول أن أدلة الفريق الثانى أقوى وأصح وأثبت من أدلة الفريق الأول .

تاسعاً : القول بأن الذبيح إسماعيل هو الرأى الذى يتفق مع ظاهر القرآن الكريم ، ويعتمد على قوة الاستنباط وسلامة الاستنتاج وحسن الاستدلال من مجموع الآيات القرآنية التى وردت فيها قصة الذبيح .

وبلغ من قوة هذا الرأى ، ومدى استخلاصه من آيات القرآن الكريم أن بعض العلماء المسلمين ذكروه كأنه قد نص عليه نصا .

يذكر الحافظ ابن كثير أن القول بأن الذبيح إسحاق ليس فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ويؤكد أن هذا القول لايفهم من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل .

ويذكر فى موضع آخر أن هذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل .

وفى موضع ثالث يقول : « وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل » (١) .

وقد سئل أبو سعيد الضرير : أيهما الذبيح من ولدى الخليل إبراهيم عليهم السلام فأنشد (٢) :

إن الذبيحَ هُديتَ إسماعيل	نَصٌّ الكتاب بذاك والتنزيلُ
شرفٌ به خَصَّ الإله نبينا	وأتَى به التفسيرُ والتأويلُ
إن كنت أمته فلا تنكر له	شرفاً به قد خصه التفضيلُ

كذلك فإن هذا الرأى هو الذى يتفق مع السنة النبوية وعليه أكثر الصحابة والتابعين ويتفق أيضا مع وقائع السيرة وأحداث التاريخ ويستفاد من نصوص التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ، وقال به جمهور العلماء المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، القدامى منهم والمحدثين .

وهؤلاء العلماء حينما قالوا به ، لم يفعلوا ذلك على جهة الترجيح وإنما على سبيل القطع ، وأنه هو الرأى الصحيح والقول الصواب المقطوع به ، وما عداه فهو رأى خاطئ وقول غير صحيح .

---

(١) راجع قصص الأنبياء جـ ١ صـ ١٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٤ .

(٢) راجع تفسير القرطبي جـ ١٥ صـ ١٠٠ ، وتفسير الألوسي جـ ٢٣ صـ ١٣٣ .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ، وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف [1] .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذى يجب القطع به أنه إسماعيل ، وأنه هو الذى عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة .

ويذكر فى موضع آخر أن الذبيح هو إسماعيل على أصح القولين للعلماء وقول أكثرهم كما دل عليه الكتاب والسنة [2] .

فالقرآن الكريم بمجموع آياته الواردة فى هذه القصة وتسلسلها ودلالتها كل ذلك ينهض حجة كافية واستدلالاً قويا للقول بأن الذبيح هو إسماعيل ويؤيد ذلك الأحاديث النبوية وبعض أخبار أهل الكتاب ، فهذا القدر من الأدلة يكفى للقول على سبيل القطع بأن الذبيح هو إسماعيل أو كما يقول عنه الحافظ ابن كثير هو القول الصحيح المقطوع به [3] .

ويذكر الإمام ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق باطل بأكثر من عشرين وجهاً ، وأن إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين من بعدهم [4] .

وقد نقل المؤرخ المكى « الفاكهى » أن الذبيح هو إسماعيل من طريق مجاهد عن ابن عباس ، ومن طريق عكرمة عن ابن عباس ونقله كذلك عن مجاهد نفسه وعن سعيد بن المسيب وعن سعيد بن جبير وعن عبد الله بن سلام ولفظه : « كنا نقرأ فى كتب اليهود أنه إسماعيل ، ونقله أيضا عن محمد بن

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني جـ ٣ صـ ٣٨٦ .

(٢) راجع مجموع الفتاوي جـ ٤ صـ ٣٣٠ - ٣٣١ والرد علي المنطقيين صـ ٥١٧ .

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم جـ ٤ صـ ١٧ ومقدمة الدكتور عبدالكريم زيدان لكتاب « القول الصحيح في تعيين الذبيح » صـ ٨ .

(٤) زاد المعاد جـ ١ صـ ٧١ .

كعب القرظى وعن الحسن »[1] .

وقد سبق فى ثنايا البحث أن بينت بالتفصيل كيف أن هذا الرأى هو الذى عليه أكثر الصحابة والتابعين ، وأنه هو الرأى القوى والقول الصحيح عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم جميعا .

ولذلك فإن الشهاب الخفاجى يذكر فى كتابه « نسيم الرياض » أن القول المشهور فى الذبيح أنه إسماعيل عليه السلام وأنه هو مذهب الجمهور ، وهو قول أكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضى الله عنهم ، وأنه هو القول الظاهر والرأى الصحيح[2] .

وكذلك المُلا عَلِى القارى ذكر فى شرح الشفا للقاضى عياض أيضا يذكر أن هذا القول هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين وأنه هو الرأى المشهور والصحيح عند علماء المسلمين[3] .

وحينما تحدث « فنسنك » فى دائرة المعارف الإسلامية عن « إسماعيل عليه السلام » ذكر أن الذبيح هو إسحاق ثم قال : « غير أن كثيراً من علماء الدين يؤكدون أن الذبيح كان إسماعيل وليس بإسحاق » وأشار إلى أنهم يدعمون رأيهم هذا بالأدلة والبراهين[4] .

وقد عقب عليه الشيخ أحمد محمد شاكر فذكر أن القول الراجح عن أئمة الإسلام وعلمائه أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام[5] .

ويذهب الدكتور الشيخ محمد أبو شهبة إلى أن الحق فى هذه المسألة أن

---

(١) أخبار مكة جـ ٥ صـ ١٢٧ .

(٢) نسيم الرياض جـ ١ صـ ٤٩٠ .

(٣) شرح الشفا جـ ١ صـ ٤٩٠ .

(٤) راجع المجلد الثاني من دائرة المعارف الإسلامية صـ ١٧٠ ــ ١٧٢ .

(٥) راجع المصدر السابق صـ ١٧١ ــ ١٧٢ .

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وهو الذى يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية ، والآثار عن الصحابة والتابعين ، ومنها ما له حكم الرفع بتقرير النبى ﷺ له ، فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأئمة العلم والحديث ، منهم الصحابة النجباء والسادة العلماء [1] .

وبناء على ذلك فإننى حينما أقطع بأن الذبيح هو إسماعيل فإن هذا القطع يأتى بعد هذه الدراسة وذلك البحث فى الموضوع من جميع جوانبه ، مع قناعتى الكاملة بأن هذا الرأى هو الذى عليه نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية ، وقال به جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء المسلمين ، القدامى منهم والمحدثين .

عاشراً : القول بأن الذبيح إسماعيل هو الرأى المشهور عند العرب فى الجاهلية قبل البعثة النبوية حيث نقلوه بالتواتر جيلاً بعد جيل وسجله أمية بن أبى الصلت فى شعرٍ له .

يذكر العلامة المؤرخ المكىّ « الفاكهى » أن الناس قالوا فى الذبيح ما قالوا فقال العرب : هو إسماعيل ، وقالت طائفة من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً : إنه إسحاق .

ويؤكد الفاكهى أن أقوال العرب فى ذلك أثبت وأصح [2] .

ونقل الفاكهى ثلاثة أبيات من شعر أمية بن أبى الصلت وزاد الطبرى قبل ستة أبيات فصار مجموعها تسعة يقول فيها الشاعر العربى :

ولإبراهيم الموفي بالنذر [3] احتساباً وحامل الأجزال

(١) راجع كتابه « الإسرائيليات والموضوعات » صـ ٣٥٩ .

(٢) راجع كتابه « أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه » جـ ٥ صـ ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) يذكر الإمام الطبري أن قول أمية هذا يحقق الرواية التي رواها عن السدي من أن الخليل كان قد نذر ذبح ابنه فأمره الله بالوفاء به ، وقد سبق أن أشرت إلي هذا الرأي(راجع تاريخ الطبري جـ ١ صـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

بكره لم يكن ليصبر عنه ... أو يراه فى معشر أقبال

أى بُنَىَّ إنى نذرتك لله ... شحيطا فاصبر فدىً لك خالى

واشدد الصفد لا أحيد عن السكيـ ... ـن حيد الأسير ذى الأغلال

وله مُدْية تخايل فى اللحم ... خُذَامٌ حَنيَّةٌ كالهلال

بينما يخلع السرابيل عنه ... فكه ربه بكبش جُلال

فخذَنْ ذا فأُرسل ابنك إنى ... للذى قد فعلتما غيرُ قالِ

والد يتقى وآخر مولو ... د فطارا منه بسمع فعال

ربما تجزع النفوس من الأمر ... له فرْجه كحلِّ العقال

ثم قال الفاكهى : قال ابن إسحاق فى حديثه : فحقق قول أمية بن أبى الصلت فى شعره أن الذى أمر بذبحه إبراهيم من ولده بكره .

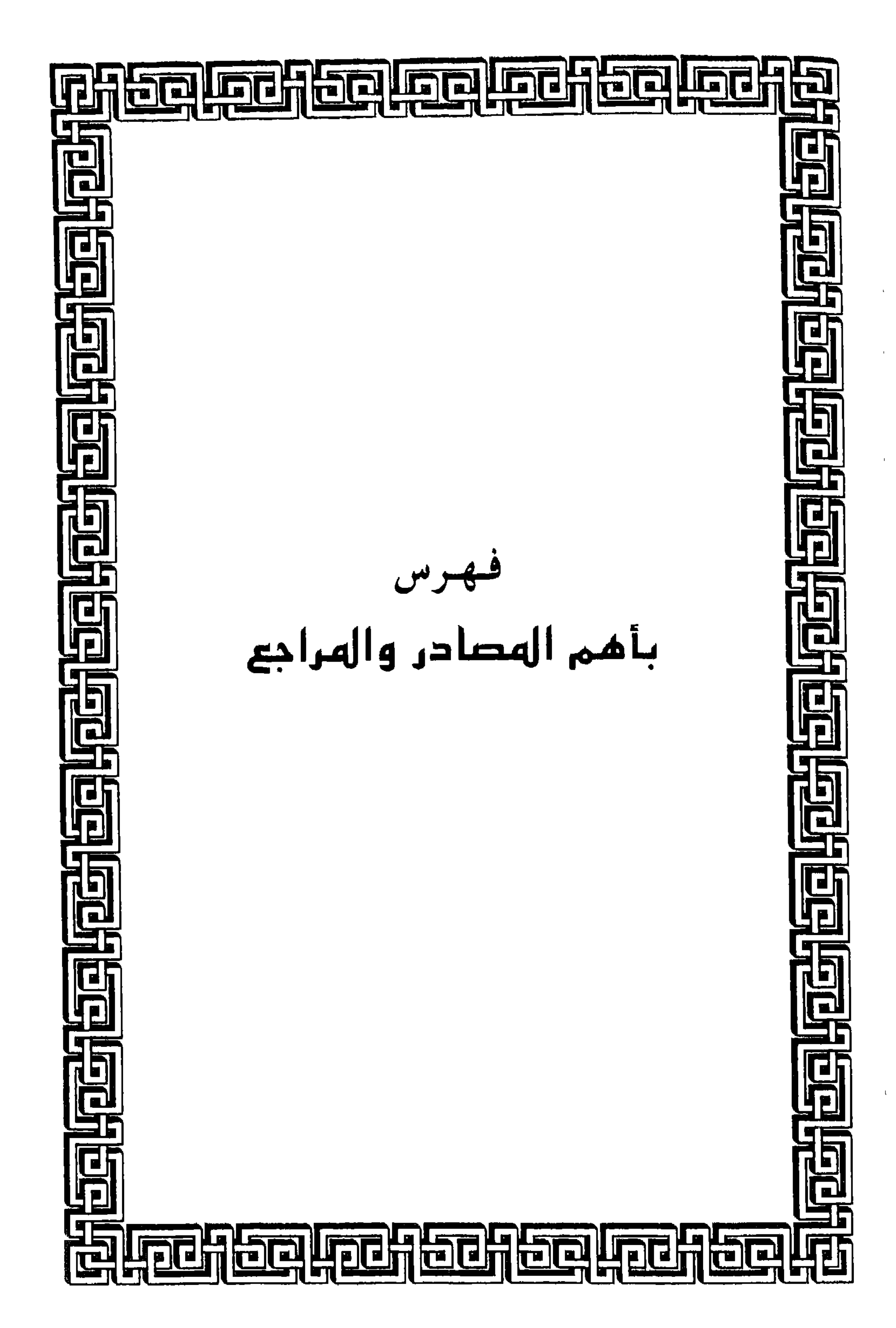
وبكره إسماعيل ، وهو أكبر من إسحاق فى علم الناس كلهم : العرب من بنى إسماعيل ، وأهل الكتاب (1) .

وبناء على كل ذلك ، فإن الرأى الذى أدين الله سبحانه وتعالى عليه أن الذى أمر بذبحه الخليل هو ابنه البكر إسماعيل وليس إسحاق كما زعم اليهود ومن تابعهم ، وأقول هذا فى قناعة تامة بعد هذه الدراسة المفصلة والتى أزعم أنها شملت جميع جوانب الموضوع ، وألمت بكل أطرافه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، كما صلى وسلم وبارك على سيدنا إبراهيم وولديه سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

---

(1) راجع أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه جـ ٥ صـ ١٢٧ ، راجع أيضا شفاء الغرام للفاسي جـ ٢ صـ ١٠ـ ١١ .



فهرس
بأهم المصادر والمراجع



فهرس بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

ابن الأثير (العلامة عز الدين أبو الحسن)

١ ــ الكامل فى التاريخ : طبعة دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، وطبعة دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك)

٢ ــ جامع الأصول فى أحاديث الرسول : حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناءوط ، نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى ، ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ .

الدكتور أحمد شلبى

٣ ــ اليهودية : رقم (١) من سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٨ م .

مهندس أحمد عبد الوهاب

٤ ــ فلسطين بين الحقائق والأباطيل ، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

الأزرقى (العلامة أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى).

٥ ــ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تحقيق رشدى الصالح ملحسن : الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م مطابع دار الثقافة مكة المكرمة .

الألبانى (الشيخ محمد ناصر الألبانى)

٦ ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء فى الأمة نشر المكتب الإسلامى بيروت .

الألوسى (العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى)

٧ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : إدارة الطباعة المنيرية ، نشر دار إحياء التراث العربى بيروت ، وطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

بحر (د / محمد بحر عبد المجيد)

٨ ــ اليهودية : ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة .

برنابا

٩ ــ إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة ، قدم له الشيخ رشيد رضا نشر مطبعة ومكتبة صبيح بالأزهر .

البغوى (الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعى)

١٠ ــ تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل : إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ، مروان سوار : الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م دار المعرفة بيروت .

البقاعى (الإمام برهان الدين البقاعى)

١١ ــ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

البيضاوى (العلامة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوى)

١٢ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

البيهقى (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى)

١٣ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : تحقيق د / عبد المعطى قلعجى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

التنير (محمد طاهر التنير)

١٤ ـ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية تحقيق د / محمد عبد الله الشرقاوى ، نشر دار الصحوة بالقاهرة .

ابن تيمية (شيخ الإسلام الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية)

١٥ ـ الرد على المنطقيين : تولى إعادة طبعه ونشره : إدارة ترجمان السنة لاهور : باكستان الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

١٦ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية الجزء الرابع جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وابنه محمد بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

١٧ ـ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

الثعالبى (العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى)

١٨ ـ تفسير الثعالبى الموسوم بجواهر الحسان فى تفسير القرآن منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت .

الجزيرى (العلامة الشيخ عبد الرحمن الجزيرى)

١٩ ـ أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م مطبعة الإرشاد بمصر .

الجمل (العلامة سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل)

٢٠ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، طبع ونشر عيسى البابى الحلبى بمصر .

ابن الجوزى (الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن)

٢١ ـ زاد المسير فى علم التفسير ، نشر المكتب الإسلامى للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

الحاكم (الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى)

٢٢ ـ المستدرك على الصحيحين فى الحديث ، نشر مكتبة الرياض ومطابع النصر الحديثة .

ابن حجر (الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى)

٢٣ ـ فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى : رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقى وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب ، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها .

٢٤ ـ الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف : طبع على هامش تفسير الكشاف ، نشر دار الكتاب العربى بيروت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

ابن حزم (العلامة الإمام أبو محمد على بن أحمد بن حزم)

٢٥ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل نسخة من خمسة أجزاء فى مجلد واحد ، نشر مكتبة الخانجى بمصر .

الحلبى (العلامة على بن برهان الدين الحلبى)

٢٦ ـ إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل)

٢٧ ـ المسند : حققه وشرحه وصنع فهارسه : الشيخ أحمد شاكر ، نشر دار المعارف بمصر .

أبو حيان (العلامة محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى)

٢٨ ـ التفسير الكبير المسمى بتفسير البحر المحيط ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ابن خلدون (العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)

٢٩ ـ تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بالمغرب .

دروزة (محمد عزة دروزة)

٣٠ ـ تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم : طبعة جديدة من منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٣١ ـ تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأطوار والأدوار والأقطار المطبعة العصرية للطباعة والنشر صيدا لبنان ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

الديار بكرى (الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن)

٣٢ ـ تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس : مؤسسة مسقيان للنشر والتوزيع بيروت .

الأب ديلى

٣٣ ـ تاريخ شعب العهد القديم : ترجمة الأب جرجس مارديني ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .

الذهبى (الإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)

٣٤ ـ تلخيص المستدرك فى ذيل المستدرك على الصحيحين فى الحديث .

٣٥ ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناءوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الذهبى (د / محمد حسين الذهبى)

٣٦ ـ الإسرائيليات فى التفسير والحديث من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٣٧ ـ التفسير والمفسرون : نشر دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

الرازى (الإمام العلامة فخر الدين الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين)

٣٨ ـ التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربى بيروت : الطبعة الثالثة .

الزرقانى (الإمام العلامة محمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى)

٣٩ ـ شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر : بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

الزرقانى (الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى)

٤٠ ـ مناهل العرفان فى علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى .

الزغبى (د / فتحى محمد الزغبى)

٤١ ـ تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، نشر دار البشير بطنطا الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

٤٢ ـ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية ، المسيحية ، المجوسية) نشر مطبعة غباشى بطنطا ١٩٨٨ م .

٤٣ ـ القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ، مطبعة غباشى بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

الزمخشرى (العلامة أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمى)

٤٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، دار المعرفة بيروت .

السخاوى (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين محمد عبد الرحمن)

٤٥ ـ المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : صححه وعلق حواشيه عبد الله محمد الصديق قدمه وترجم للمؤلف عبد الوهاب عبد اللطيف الناشر : مكتبة الخانجى بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

أبو السعود (قاضى القضاة الإمام محمد بن محمد العمادى)

٤٦ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م .

السقاف (ابكار السقاف)

٤٧ ـ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة نشر عالم الكتب القاهرة : الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .

سيد قطب

٤٨ ـ فى ظلال القرآن : الطبعة الشرعية الثالثة عشر دار الشروق : بيروت القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

السيوطى (الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى)

٤٩ ـ الإكليل فى استنباط التنزيل : مطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة طبع بنفقة السيد سعد درابزونى الحسينى .

٥٠ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : نشر دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٥١ ـ القول الفصيح فى تعينى الذبيح : ضمن الجزء الثانى من كتاب الحاوى للفتاوى فى الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد : السلام العالمية للطبع والنشر : القاهرة .

٥٢ ـ مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا للقاضى عياض ، تحقيق الشيخ سمير القاضى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

شاكر (الشيخ أحمد محمد شاكر)

٥٣ ـ تعليق على دائرة المعارف الإسلامية .

الشربينى (الإمام الشيخ الخطيب الشربينى)

٥٤ ـ تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية .

الشنقيطى (الشيخ محمد الأمين الشنقيطى)

٥٥ ـ أضواء البيان وإيضاح القرآن بالقرآن طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

شهاب الدين (مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى)

٥٦ ـ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، دار صادر بيروت .

٥٧ ـ نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ، دار الكتاب العربى بيروت .

أبو شهبة (د / محمد بن محمد أبو شهبة)

٥٨ ـ الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : مجمع البحوث

الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٥٩ ـ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة (دراسة محررة جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث) دار القلم دمشق بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

الشوكانى (الإمام محمد بن على الشوكانى)

٦٠ ـ فتح القدير بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

د / صبرى جرجس

٦١ ـ التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى : نشر عالم الكتب القاهرة : الطبعة الأولى ١٩٧٠ م مطبعة مخيمر .

الطبرى (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى)

٦٢ ـ تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) رقم ٣٠ من سلسلة ذخائر العرب تحقيق د / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م وطبعة ١٩٧٩ م دار المعارف بمصر .

٦٣ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ظاظا (د / حسن ظاظا)

٦٤ ـ الفكر الدينى اليهودى : أطواره ومذاهبه ، دار القلم بدمشق ودارة العلوم والثقافة بيروت : الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن عاشور (سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور)

٦٥ ـ تفسير التحرير والتنوير : طبعة مصورة عن الطبعة الأصلية للدار التونسية للنشر .

العجلونى (المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد)

٦٦ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة

الناس : أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاس ، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي حلب .

ابن العربي (العلامة أبو بكر محمد بن عبد الله)

٦٧ ـ أحكام القرآن تحقيق محمد على البجاوى : نشر دار الجيل بيروت ١٩٨٧ م .

العقاد (الأستاذ عباس محمود العقاد)

٦٨ ـ إبراهيم أبو الأنبياء : منشورات المكتبة العصرية : صيدا بيروت .

القاضي عياض (العلامة أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى)

٦٩ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى : تحقيق على محمد البجاوى ، نشر دار الكتاب العربى ١٩٧٧ م .

الفاسى (الإمام العلامة الحافظ أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على)

٧٠ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء : دار الكتب العلمية بيروت .

الفاكهى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى المكى)

٧١ ـ أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش : الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة .

فنسنك (مستشرق)

٧٢ ـ مادة « إسماعيل » فى دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى .

القارى (الملا على بن سلطان محمد القارى)

٧٣ ـ شرح الشفا : حاشية على نسيم الرياض للشهاب الخفاجى .

القاسمي (العلامة محمد جمال الدين القاسمي)

٧٤ ـ محاسن التأويل : وقف على طبعه وتصحيحه وترقيمه وخرّج آياته وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

القرطبي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى)

٧٥ ـ الجامع لأحكام القرآن : طبعة مصورة عن دار الكتب العربية بإشراف المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م وطبعة دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

القسطلاني (خاتمة المحققين أحمد بن محمد بن أبى بكر الخطيب القسطلانى)

٧٦ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : دار الكتب العلمية بيروت .

ابن القيم (الإمام المحدث المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر)

٧٧ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : تحقيق محمد سيد كيلانى ، النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع .

٧٨ ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد : حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرناءوط وعبد القادر الأرناءوط ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت ، توزيع دار الريان للتراث : الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)

٧٩ ـ البداية والنهاية تحقيق د / أحمد أبو ملحم وآخرين ، نشر دار

الكتب العلمية بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٨٠ ـ تفسير القرآن العظيم : نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٨١ ـ السيرة النبوية : تحقيق مصطفى عبد الواحد : دار إحياء التراث العربى بيروت .

٨٢ ـ قصص الأنبياء : تحقيق محمد أحمد عبد العزيز دار الكتب العلمية بيروت : الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

الكلبى (الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن حمد بن جزى الكلبى)

٨٣ ـ التسهيل لعلوم التنزيل : تحقيق د / محمد عبد المنعم اليونسى ، إبراهيم عطوة عوض دار الكتب الحديثة .

ماير (د . ف . ب ماير)

٨٤ ـ حياة إبراهيم ترجمة القمص مرقس داود : نشر مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٨٠ م .

٨٥ ـ حياة يعقوب : نفس المترجم والناشر ١٩٨٠ م .

الماوردى (الإمام أبو الحسن على بن محمد الماوردى)

٨٦ ـ النكت والعيون : حققه خضر محمد خضر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

٨٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، نشر دار الحديث بالقاهرة .

المراغى (الأستاذ أحمد مصطفى المراغى)

٨٨ ـ تفسير المراغى : نشر مصطفى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .

المناوى (العلامة زين الدين عبد الرءوف المناوى)

٨٩ ـ الفتح السماوى بتخريج أحاديث تفسير القاضى البيضاوى : دراسة

وتحقيق وتعليق أحمد مجتبى بن نذير السلفى ، نشر دار العاصمة بالرياض .

مهران (د / محمد بيومى مهران)

٩٠ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم : فى بلاد العرب نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ناصف (عصام الدين حفنى ناصف)

٩١ ـ محنة التوراة على أيدى اليهود : مطبعة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

النجار (الشيخ عبد الوهاب النجار)

٩٢ ـ تعليق على دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت الفندى وآخرون .

٩٣ ـ قصص الأنبياء : مطبعة النصر بمصر الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .

النيسابورى (الإمام نظام الدين ابن الحسن بن محمد بن الحسين)

٩٤ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، طبع على حاشية جامع البيان للطبرى .

ابن هشام (الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى)

٩٥ ـ السيرة النبوية : حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها : مصطفى السقا وآخرون ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

هوايت (ألن هوايت)

٩٦ ـ الصراع العظيم فى سيرة الآباء والأنبياء : ترجمة فرج الله إسحاق نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر بيروت ١٩٨١ م .

الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى)
٩٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نشر دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

وافى (د / على عبد الواحد وافى)
٩٨ ـ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة .
٩٩ ـ بحوث فى الإسلام والاجتماع : دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالقاهرة الطبعة الأولى .
١٠٠ ـ الكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى) : أسفار العهدين القديم والجديد طبعة البروتستانت التى أصدرتها دار الكتاب المقدس فى العالم العربى بدون تاريخ .
١٠١ ـ التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية) ترجمة الكاهن السامرى (أبو الحسن إسحاق الصورى) نشرها وعرّف بها د / أحمد حجازى السقا ، نشر دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .
١٠٢ ـ قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين هيئة التحرير : د / بطرس عبد الملك و د / جون الكساندر طمسن والأستاذ / إبراهيم مطر من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط : الطبعة السادسة ١٩٨١ م .
١٠٣ ـ السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم : مبنى على آراء عدد من اللاهوتيين : صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م .
١٠٤ ـ المدخل إلى الكتاب المقدس تأليف حبيب سعيد ـ نشر دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى .

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات





صدر للمؤلف

- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية
- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام
- القرابين البشرية والذبائح التلمودية
- قصة الذبيح



دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا : ٣٢ ش الشهيد عادل الزواوي ـ أمام كلية التربية النوعية

☎ ٢٢٢٤٠٤ ـ فاكس ٣٣١٨٠٠